وليام شكسبير

مكبث

ترجمة : حسين أحمد أمين

دار الشروق

الطبعة الأولى
١٤١٥هـ - ١٩٩٤م

القاهرة : ١٦ شارع جواد حسني - هاتف . ٣٩٣٤٥٧٨ - ٣٩٢٩٣٣٣
فاكس : ٣٩٣٤٨١٤ (٠٢) تلكس 93091 SHROK UN
بيروت : ص.ب: ٨٠٦٤ - هاتف ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣
فاكس . ٨٦٧٥٥٥ - تلكس SHOROK 20175 LE

مقدمة

(١)

لم تطبع مسرحية « مكبث » أثناء حياة شكسبير . وإنما نُشرت لأول مرة ضمن أعماله الكاملة عام ١٦٢٣ (أى بعد وفاته بسبع سنوات) فيما يعرف بطبعة الفوليو Folio [١]. وحيث أن النص المنشور لم يعتمد لا على طبعة ظهرت أثناء حياة مؤلفها، ولا على الأصل الذى كتبه ثم ضاع ، وإنما على نسخ بعض ممثّلى المسرحية أو نسخة الملقّن، فقد جاء مليئًا بالتحريف والتصحيف والأخطاء والجمل الناقصة والغامضة، بحيث وُصف بأنه من أسوأ ما طُبع فى الفوليو من مسرحيات . كذلك فإن قِصَر المسرحية على نحو غير مألوف (فهى من أقصر مسرحيات شكسبير) ، وكثرة المشاهد القصيرة فيها ، يوحيان بأن يد الحذف والاختصار قد تناولتها ، أو ربما اعتمد محرّرو طبعة الفوليو على نص مُثّل بعد اختصاره فى عرض بالبلاط الملكى، ولم تُسعفهم ذاكرة أحد بالأسطر أو المشاهد التى حُذفت حتى يعيدوا المسرحية إلى أصلها الكامل .

---

(١) الفوليو : الكتاب ذو القَطْع الكبير . وهو كتاب يتألف من صفحات كبيرة ، يزيد طول كل منها على ٣٠ سم . وقد ضمّت طبعة الفوليو عام ١٦٢٣ ـ لأول مرة ـ كافة مسرحيات شكسبير (عدا مسرحية « بركليس ») . ويُستخدم هذا المصطلح (Folio) للتمييز بين تلك الطبعة والطبعات التى ظهرت أثناء حياة شكسبير لعدد من مسرحياته فُرادَى ، وكانت كلها من قَطْع الرُّبع Quarto . وقد حَوَت طبعة الفوليو الأولى ثمانى عشرة مسرحية لشكسبير لم تنشر من قبل، من بينها « مكبث » .

أما تحديد سنة كتابة « مكبث » فليس بمشكلة . إذ يكاد يكون من الثابت أن شكسبير انتهى من تأليفها عام ١٦٠٦ (وهو فى الثانية والأربعين من عمره) ، أى بعد كتابته لمسرحية « الملك لير » (١٦٠٥) ، وقبل شروعه فى تأليف « أنطونيو وكليوباترا » (١٦٠٧) . وأهم دلائلنا على ذلك أصداء لبعض أحداث « مكبث » وردت فى مسرحيات لبعض معاصرى شكسبير نشرت عام ١٦٠٧ ، وتلميح فى المسرحية إلى ما يُعرف « بمؤامرة البارود » ، The Gunpowder Plot ، وهى مؤامرة دبّرها بعض الكاثوليك الإنجليز لنسف البرلمان أثناء اجتماع مجلسيه فى ٥ نوفمبر ١٦٠٥ بحضور الملك جيمس الأول والملكة وابنهما الأكبر والوزراء وكبار رجال الدولة. فقد أثار غضبَ الكاثوليك الإنجليز رفضُ الملك إعطاءهم المزيد من الحرية فى ممارسة عقيدتهم ، وكانوا يتطلّعون من وراء المؤامرة إلى استغلال الفوضى التى ستعمّ البلاد بعد تفجيرالبرلمان فى محاولة الاستيلاء على السلطة . وقد استأجر المتآمرون فى ربيع عام ١٦٠٥ قبوًا تحت أرض البرلمان والقصر فى حىّ ويستمينيستر بلندن ، وأخفوا فيه ما يزيد على عشرين برميلا من المتفجرات . غير أن المؤامرة اكتشفت عشية ٥ نوفمبر ، وقبض على المشتركين فيها ، ثم أعدموا فى ٣١ يناير ١٦٠٦ .

وقد أصابت الرأى العام فى بريطانيا من جراء المؤامرة صدمة عنيفة (١) ، وأثارت لديه تعاطفا عميقًا مع الملك جيمس الذى خلف إليزابيث الأولى على العرش عام ١٦٠٣ ، والذى كان يمكن أن يتسبب موته وقتئذ فى اضطراب سياسى لا حدّ له . . وقد استغل شكسبير ـ كعادته ـ انشغال الرأى العام بالقضية ، فأسرع بكتابة «مكبث» التى تتعرض لموضوع التآمر على قتل الملك الشرعى ، واغتصاب السلطة ، ومصير التمرد والخيانة .

كان جيمس الأول أول ملك يحكم انجلترا وسكوتلندا معا (من ١٦٠٣ إلى ١٦٢٥) . وهو ابن مارى ستيوارت ملكة سكوتلندا التى أعدمتها إليزابيث عام ١٥٨٧ . وقد شمل برعايته فرقة شكسبير التمثيلية التى مثّلت فى بلاطه العديد من

---

(١) لا يزال البريطانيون إلى يومنا هذا يحتفلون يوم ٥ نوفمبر من كل عام بذكرى اكتشاف المؤامرة .

مسرحياته ، فكان أن اتجه شكسبير إلى كتابة مسرحية مستوحاة من تاريخ سكوتلندا ، يمجّد فيها بانكو الذى تعتبره أسرة ستيوارت جَدًّا لها ، ويسئ إلى سمعة قاتله مكبث ، ويخلق فيها دورًا هامًا للساحرات اللواتى تنبّأن لمكبث ولسلالة بانكو بتولّى العرش ، بالنظر إلى اهتمام الملك جيمس بالسحر اهتمامًا بلغ حدّ تأليفه لكتاب عنه .

(٢)

فأما المصدر الرئيسى (وربما الوحيد) الذى استقى منه شكسبير مادة المسرحية ، فالقسم الخاص بسكوتلندا من تاريخ هولينشيد Holinshed [١] . . غير أن تحريف شكسبير للحقائق التاريخية فى « مكبث » يفوق تحريفه للحقائق فى أىّ من مسرحياته الأخرى التى تستند إلى التاريخ . وهو تحريف اقتضاه أمران : الأول ، رغبته فى إرضاء الملك ؛ والثانى ، الضرورات الفنية ، بما فيها ما يقتضيه تصوير الشخصيات على النحو الذى ارتآه المؤلف ، والحبكة الدرامية ، وما تفرضه المسرحية من ضغط للزمن والأحداث .

وقد يكون من المفيد من أجل إيضاح مدى هذا التحريف ، وتمكين القارئ من إدراك كيفية معالجة شكسبير للموضوع ، أن نورد موجزًا للتاريخ الحقيقى لمكبث :

ولد مكبث حوالى عام ١٠٠٥ ، وقُتل فى ١٥ أغسطس عام ١٠٥٧ قرب مدينة أبردين فى سكوتلندا . ومن المحتمل أن يكون حفيدًا للملك كينيث الثانى الذى حكم من عام ٩٧١ إلى عام ٩٩٥ . وقد تزوج مكبث عام ١٠٣٢ من قريبة له هى جْرُوش بعد وفاة زوجها الأول الذى أنجبت ولدًا منه . وفى حوالى عام ١٠٣١ ورث مكبث أباه فى حكم ولاية موراى شمالى سكوتلندا ، ثم استولى على عرش البلاد بعد قتله ابن خالته الملك دانكان الأول خلال معركة قرب مدينة إلجين فى

---

(١) رفائيل هولينشيد (١٥٢٩ ـ ١٥٨٠) : مؤرخ إنجليزى ، استقى شكسبير من تاريخه أحداث مسرحياته الخاصة بالتاريخ الإنجليزى ، وكذا مسرحيات « مكبث » ، و « سمبلين » ، و « الملك لير » .

١٤ أغسطس ١٠٤٠ ، (لا فى فراشة كما ورد فى مسرحية شكسبير) . وقد استمد مكبث ودانكان حقيهما فى العرش من والدتيهما ، ولم يكن حق أىّ منهما أكبر من حق الثانى .

تولّى مكبث المُلك بعد انتصاره فى تلك الموقعة ، وحكم البلاد سبعة عشر عاما كاملا تصفها كتب التاريخ بأنها كانت « أعوام رخاء » . وقد انتصر مكبث عام ١٠٤٥ على جيش من المتمردين عند مدينة دانكِلْد القريبة من قرية بيرنام (وهو ما أوحى إلى شكسبير وغيره بالحديث عن غابة بيرنام) . وفى عام ١٠٤٦ فشل سيوارد (لورد نورثمبرلاند) فى محاولته الإطاحة بمكبث وتنصيب مالكولم مكانه ، وهو الإبن الأكبر لدانكان الذى أصبح فيما بعد الملك مالكولم الثالث . ويظهر أن مكبث كان عام ١٠٥٠ من الاطمئنان على استقرار ملكه بحيث نراه يترك سكوتلندا للحج إلى روما (ربما للتكفير عن قتله دانكان) . غير أن سيوارد اضطره عام ١٠٥٤ إلى التنازل لمالكولم عن جزء من جنوب سكوتلندا . وفى عام ١٠٥٧ قُتل مكبث فى معركة خاضها مالكولم ضده مستعينا بقوات إنجليزية . وقد دُفن مكبث فى جزيرةُ « أيونا » التى يَدْفِن الاسكوتلنديون فيها ملوكَهم الشرعيين دون مغتصبى العرش ، ونصب أعوانه «لولاش » ابن زوجته ملكا ، غير أنه قُتل فى ١٧ مارس ١٠٥٨ ، وتولى مالكولم حكم البلاد .

وبوسعنا بعد مقارنة المسرحية بما كتبه هولينشيد وغيره من المؤرخين عن مكبث أن نبرز أهم نقاط الاختلاف بين الطرفين :

- كان الملك دانكان أصغر سنا وحاكما أضعف مما صوّره شكسبير الذى جعل من ضحية مكبث رجلا مُسنًا وقورًا طيب القلب ولا عيب فيه ، حتى يزيد من بشاعة جريمة مكبث .
- مزج الفصل الأول من المسرحية بين ثلاث معارك تاريخية مستقلة ضد أعداء دانكان فى معركة واحدة .
- الثابت أن دانكان عبث بقانون وراثة العرش فى سكوتلندا بتعيينه ابنه مالكولم وليا للعهد ، فحرم بذلك مكبث من حقه الشرعى فى العرش ، وأثار حفيظته عليه .

وكان هدف شكسبير من ذلك مزدوجا : الأول ، دواع درامية إلى تضخيم جريمة مكبث والحيلولة دون التعاطف معه ومحاولة إيجاد العذر له ؛ والثانى ، أن مكبث هو الذى قتل بانكو (وهو الجد الأكبر للملك جيمس الأول) ولم يكن فى نية المؤلف أن يصوّره بصورة أقل بشاعة .

- كان بانكو أحد المشاركين فى قتل دانكان . وقد أغفل شكسبير هذه الحقيقة لنفس السببين السابقين .
- قام مكبث وبانكو وآخرون باغتيال دانكان أثناء معركة حربية ضده ، ولم يغتله مكبث فى فراشه وفى قصره وهو نائم كما ورد فى المسرحية .
- جعل شكسبير من سنوات حكم مكبث السبع عشرة وكأنها هى سبعة عشر أسبوعا ! كما أغفل تماما وصف المؤرخين لحكمه الصالح وتميّزه بالرخاء ، خاصة خلال السنوات العشر ما بين قتله لدانكان وقتله لبانكو . وهو إغفال له مبرراته الدرامية ، ولولاه لضاع القصد من المسرحية .
- منظر المأدبة فى الفصل الثالث وظهور شبح بانكو أثناءها من اختراع شكسبير وحده .
- أغفل شكسبير قصة رفض مكدف تقديم المساعدة لمكبث فى بناء قلعة دانسينين مما أسهم فى إفساد العلاقات بينهما . كذلك فإن التاريخ يذكر أن مكبث حاصر قلعة مكدف فى مدينة فايف بجيش عظيم ، فى حين تذكر المسرحية أن مكبث أرسل قَتَلَةً لاغتيال زوجة مكدف وأبنائه .
- اخترع شكسبير قصة سير ليدى مكبث أثناء نومها وقصة انتحارها المزعوم ، فى حين لم يذكر هولينشيد شيئًا عن مصيرها .
- ولم يذكر شكسبير من جانبه أن ابن ليدى مكبث خَلَفَ زوج أمه على العرش لمدة سبعة أشهر سبقت تنصيب مالكولم الثالث ملكا على البلاد .

(٣)

غير أن كل هذا إنما يعنى القارئ الراغب فى معرفة حقيقة مكبث التاريخية ، أو فى دراسة كيفية تناول شكسبير للمادة التاريخية . غير أنه قد لا يعنى قارئ مسرحية «مكبث» فى كثير أو قليل .

فالمسرحية ، قبل كل اعتبار آخر ، من أروع ما كتب شكسبير . قد تكون أقصر بكثير من « هاملت » أو « الملك لير » أو « عطيل » أو « أنطونيو وكليوباترا » ، غير أنها لا توحى لقارئها أو مُشاهدها بالقصر بقدر ما توحى بالسرعة والتركيز ، وإغفال كل العناصر الغريبة التى لا تخدم الموضوع .

فإن كانت «هاملت » هى مأساة رجل أخلاقى فى مجتمع لا أخلاقى ، فإن «مكبث » هى مأساة رجل غير أخلاقى فى عالم أخلاقى لابدّ للشر أن يلقى فيه جزاءه . . هى مأساة تتصل بطبيعة الشر ذاته ، سواء فى المجرم المحترف الذى نسمعه يقول :

« إنى امرؤ تلقَّى من يد الدنيا أبشع الضربات والمصائب حتى غدوتُ ولا أبالى بما أصنعه حتى أنتقم منها » ، « وبتّ على استعداد للمخاطرة بحياتى فى سبيل إصلاح أمرها أو التخلص منها » . (الفصل الثالث ، المشهد الأول) ؛ أو فى الشخص العادى منا فى حياته اليومية متى كانت له بعض الطموحات : « غير أن طبيعة شخصيتك تقلقنى . فأنت أكثر رحمة وإنسانية مما ينبغى ، مما سيحول بينك وبين اختيار أقصر الطَرق إلى نيل مرامك . . إنك تريد المجد ، ولست بالخالى من الطموح، غير أنك ترفض الشرور الملازمة للرغبة فى المجد . . تريد نيل المعالى دون أن ترتكب ما يخلّ بالشرف . . تريد أن تكسب ما ليس من حقك ولكن دون غش أو خداع ، وتطمح إلى الحصول على شىء يناشدك أن تُقدِم على فعلة معينة من أجل نيله . . . » . (الفصل الأول ، المشهد الخامس) .

فمن منا ، مهما كانت سلامة طويته ، لم يواجه فى حياته مثل هذا الموقف عشرات المرات ؟

ثم هى علاوة على ذلك مسرحية تتناول آليّة الجزاء فى الحياة الدنيا :

فثمة الإحساس فى المرحلة المبكرة بتأنيب الضمير :

« إحساسى بالذنب يجعلنى أفضّل فقد الإحساس بنفسى » ، « خُيّل إلىّ أنى سمعت صوتا يصيح : لن تعرف النوم بعد اليوم ! . . النوم البرئ . . النوم الذى يرتق ما تفتقه الهموم . . ذلك الموت اليومىّ الذى يختم حياة كل نهار ، فيغسل عنا الكلالة ، ويضمّد جراح الأذهان ، ويمدّنا بالقوة على العيش » .

ثم القلق المستمر :

« ما هذا الذى أصابنى حتى بات كل صوت يخيفنى ؟ » .

« إنى لأفضلّ أن تنطبق السماء على الأرض وأن يفنى الكون على أن يغشانا الخوف كلما جلسنا إلى طعامنا ، وأن تقضّ مضاجعنا الأحلام المزعجة التى ترتعد لها فرائصنا كل ليلة . . ولأن نكون مع الموتى الذين قتلناهم لنشغلَ مكانهم ، أفضل من أن يظل العقل فى عذابه وقلقه » .

وحتى إذا تبلّد الضمير بعد ذلك فثمة الأفتقار الدائم إلى الإحساس بالأمن ، وإدراك المذنب أن الجريمة لم تفده على النحو الذى كان يتوقعه ، ولا حققت له بالضبط ما كان يرجوه :

« لا قيمة للمُلْك إن لم أكن آمنا فى مُلْكى » .

« إننى لا أخشى أحدا سوى بانكو . فنجمى هو دائما باهت الضوء إلى جوار نجمه . وإنما لوّثتُ يدى وعقلى لصالح أبنائه وأحفاده ، ومن أجلهم وحدهم أفسدتُ صفو راحتى ، وبعتُ للشيطان روحى إلى الأبد ، حتى تغدو سلالةُ بانكو ملوكا » .

وسرعان ما ينشأ الإحساس بضرورة مواصلة الشر والسير فى طريقه حتى النهاية :

« فما بدأناه من شرّ يقوى بالمزيد من الشر » ؛

« قد أصبنا الأفعى بجراح دون أن نقتلها . وستندمل هذه الجراح وتعود الأفعى كما كانت ، فتظل قوانا الواهنة فى خطر من أنيابها » ؛

« قد آن لصالحى الشخصى أن يتقدّم أىّ اعتبار آخر . وقد قطعتُ فى بحر الدماء مسافة لو أنى توقفتُ عندها لَبَدَا التراجع والإقدام وكأنهما هما سيّان فى عينى » .

غير أن مواصلته الشر لا تحقق له لا الأمن ولا السعادة ولا ما كان يبتغيه فى بداية الأمر كله :

« لقد عشتُ بها فى الكفاية حتى جفّت واصفرّت أوراق عمرى وأوشكت على السقوط . فأما ما ينبغى أن يصاحب شيخوخة المرء من الشرف والمحبة والطاعة وزمرة الأصدقاء ، فلا أمل لى فيها . وما البديل لها عندى غير اللعنات المكتومة ، والتكريم اللسانى الزائف ، وكلمات لا تخرج من القلب ، ويكاد القلب لولا خوفه أن ينكرها » ؛

« أرى عزمى قد وَهَن . وأرانى وقد بدأت أشك فى مراوغة الشيطان وأكاذيبه التى تبدو فى زىّ الحقيقة ، وبدأت أملّ الحياة وأتطلّع إلى نهاية العالم » .

(٤)

تُمثّل إذن « مكبث » أعمق وأنضج مفهوم لشكسبير عن طبيعة الشر ، وهو ما دفع بعض النقاد إلى وصفها بأعظم مسرحية أخلاقية فى تاريخ الأدب . . ولو أننا قارنّا بينها وبين مسرحية شكسبير « ريتشارد الثالث » التى كتبها حوالى عام ١٥٩٢ ، لوجدنا أن مكبث يثير من التعاطف معه والإشفاق على مصيره أكثر مما يثيره ريتشارد ، وأن تزايد نضج شكسبير بمضىّ السنين هو المسئول عن تعدّد أبعاد شخصية مكبث بحيث تبدو شخصية ريتشارد بجانبها مسطّحة ميلو درامية . فتصوير ريتشارد هو من الخارج لا من الداخل . وهو شرير يعلم أنه شرير ، ويجد فى الشرّ وفى ماكيا فيليّته متعته بل وهوايته . . أما مكبث فيبدأ حياته الإجرامية مترددًا خائفًا موزّع الفؤاد يُقدّم رجلا ويؤخّر أخرى . فإن كان أرسطو ينكر صفة المأساة على المسرحية التى يلاقى فى نهايتها بطلها الشرير جزاءه العادل ، فإن مسرحية « مكبث » هى المأساة بعينها بفضل تصوير مكبث فى صورة الإنسان النبيل الموهوب والقائد

الباسل المحنّك الذى تؤدّى به طموحاته إلى الخيانة والجريمة ، دون أن يسعى إلى تبرير أفعاله لنفسه ، بل ومع إدراكه لبشاعة ما يفعل . فهو لا يشك لحظة فى وجود فارق بين الشر والخير . فإن كان البعض يأخذ على المسرحية قيام مثل هذه الشخصية النبيلة بعمل إجرامى بشع لا يمكن أن يصدر عنها ، فإنه يمكن الرد عليهم بأنهم يتجاهلون احتمالات صدور الشر عن الشخصية الفاضلة ، وصدور الخير عن الشخصية الشريرة ، وهى احتمالات لا يتجاهلها شكسبير فى أى من روائع مسرحياته .

لم يكن فى طبيعة مكبث نزوع إلى الجريمة . وإنما هو مجرد طموح لا حدّ له جعله يفضّل ارتكاب الجريمة على الفشل فى تحقيق مطامحه . وما دور الساحرات الثلاث ونبوءاتهن له إلا الكشف لعقله الواعى عما يدور فى عقله الباطن . فهن يتنبأن له بنيل العرش ، غير أنهن لا يُشرن عليه بانتهاج سبيل معين لتحقيق الهدف . ومكبث نفسه لا يلومهن فى النهاية على إغرائهن له بارتكاب الجريمة ، وإنما يلومهن على الصياغة المزدوجة لحديثهن الغامض إليه ، مما أثار عنده إحساسا زائفًا بالطمأنينة . . وبوسعنا أن نلمس الشبه الشديد بين حديث مكبث مع الساحرات والأشباح وبين حديث إيفان كارامازوف فى رواية دوستويفسكى مع الشيطان ، من حيث أن الحديثين يصوّران الصراع الديالكتيكى الداخلى الدائر فى نفس كل من إيفان ومكبث .

* * *

فإن كان الطموح هو الباعث على ارتكاب مكبث لجريمته الأولى (وهى قتل الملك دانكان) ، فإن سائر جرائمه اعتبارًا من قتل الحارسين إلى قتل بانكو إلى قتل عائلة مكدف كان الباعث عليها الخوف الناجم عن الذنب . . ولم يكن حافزه الوحيد على قتل بانكو معرفة بانكو بنبوءة الساحرات لمكبث (وهى ما قد تدفعه يوما إلى فضح أمره) ، ولا حتى نبوءة الساحرات لسلالة بانكو بتولى العرش ، وإنما كان أيضا من حوافزه ما ذكره هو نفسه عن شخصيته :

« خوفنا من بانكو عميق الجذور . فقوة شخصيته وصفاؤها يستدعيان مثل هذا

الخوف . وهو أيضا بالغ الجرأة . ولديه إلى جانب الشجاعة حكمة تتحكّم فى بسالته فتُجنّبه الأخطار . . إننى لا أخشى أحدا سواه . فنجمى هو دائما باهت الضوء إلى جوار نجمه ، تماما كما يقال عن نجم مارك أنطونيو إلى جوار نجم أوكتافيوس قيصر ».

فهو إذن يكره بانكو ويخشاه لأنه بمحض وجوده وصفاء شخصيته يمثّل إدانة لمكبث بعد أن لوّث بالجريمة يده . وهو يأمل لا شعوريا فى أن يخلّصه اغتيال بانكو من تلك الإدانة المستمرة والإحساس بالذنب وبالنقص . غير أن الذى حدث هو أن قتله لبانكو ضَمِنَ ثباتَ الإدانة إلى الأبد . أو على حدّ تعبير جان بول سارتر فى كتابه «الوجود والعدم » : « إن القاتل يخلّد الوضع الثقيل الذى ارتكب جريمته من أجل إنهائه ، وبدلا من أن يتخلص من العلاقة الكريهة بينه وبين القتيل ، إذا بالقتيل وقد أخذ مفتاح تلك العلاقة معه إلى القبر ، وإذا الكراهية تتحوّل بالقتل إلى شعور بالإحباط دائم » .

* * *

وأخيرًا فثمة مأخذان قديرى فيهما القارئ نقطتى ضعف فى « مكبث » :

الأول : أنه فيما عدا الشخصيتين الرئيسيتين فيها (وهما مكبث وليدى مكبث) ، نجد كافة الشخصيات الأخرى مسطّحة باهتة لم ترسم معالمها بوضوح . . غير أن لهذا التسطيح مبرّره الدرامى المشروع ، وهو تركيز الانتباه على الشخصيتين الرئيسيتين، ولأن أحداث المسرحية (على حدّ تعبير صامويل جونسون) هى من الضخامة والخطورة بحيث لا تسمح بتأثير فيها من جانب شخصيات قوية مختلفة .

والثانى : وهو ما ستشعر غالبية القراء بأنه نقطة ضعف حقيقية فى المسرحية ، إقبال شكسبير على تملّق الملك جيمس الأول فى أكثر من موضع فى « مكبث » ، (تماما كما فعل فى خاتمة « هنرى الثامن » سعيا إلى تمجيد الملكة إليزابيث) ، خاصة فى المشهد الثالث من الفصل الرابع الذى أقحم فيه منظرًا لا يمتّ إلى موضوع

المسرحية بصلة ، عن قدرة الملك على علاج داء « الغُدَب »[1] بمجرد لمسة من يده للمريض، (وهى قدرة كان جيمس يفخر بها) ، وقدرته على التنبؤ بالمستقبل (وهو ما كان جيمس يدعيه) . أما عن دور الساحرات الذى كان الدافع أيضًا إلى خلقه مجاراة الملك فى اهتمامه بالسحر ، فلا شك فى أنه أثرى المسرحية ، وأضاف إلى أبعادها ، وأسهم فى خلق الجوّ القاتم الخاص فى مسرحية تكاد كل مشاهدها تحدث ليلاً ، أو فى غرف وصالات وكهوف شبه مظلمة .

حسين أحمد أمين

مصر الجديدة فى ٢٨ يونيو ١٩٩٤

---

(١) يقصد داء الغدب (scrofula) الناجم عن فساد الدم . وكان الناس فى انجلترا فى زمن شكسبير وبعده يعتقدون أن لمسة من يد ملوكهم أو ملكاتهم تُشفى من هذا المرض الذى سُمّى لهذا السبب بداء المَلِك (The King's Evil) .

مَــكْــبِثْ

شخصيات المسرحية

دَانْكان		ملك سكوتلاندا
مالكولم		إبنا الملك
دونالبين		
مكبث		من قوّاد جيش الملك
بانكو		
مَكْدَف		من نبلاء سكوتلاندا
لينوكس		
روس		
مينتيث		
أنجوس		
كاثنيس		
فْليانْس		ابن بانكو
سيوارد		إيرل نور ثمبرلاند ، قائد القوات الإنجليزية
سيوارد الشاب		ابن سيوارد

سيتون	ضابط فى معيّة مكبث
صبىّ	ابن مكدف
طبيب انجليزى	
طبيب سكوتلاندى	
جندىّ	
بوّاب	
رجل مسنّ	
ليدى مكبث	
ليدى مكدف	
وصيفة لليدى مكبث	
هيكاتى	
ثلاث ساحرات	
أشراف ، سادة ، ضباط ، جنود ، قَتَلة ، خدم ، رُسُل .	
شبح بانكو وأشباح أخرى	

تدور أحداث المسرحية فى سكوتلاندا ، عدا المشهد الثالث من الفصل الرابع الذى تدور أحداثه فى إنجلترا .

مشاهد المسرحية

الفصل الأول :

المشهد الأول : مكان بالعراء

المشهد الثانى : معسكر للجيش قرب فوريس

المشهد الثالث : أحد المروج

المشهد الرابع : غرفة بقصر الملك فى فوريس

المشهد الخامس : غرفة بقلعة مكبث فى إينفيرنيس

المشهد السادس : أمام قلعة مكبث

المشهد السابع : غرفة بقلعة مكبث

الفصل الثانى :

المشهد الأول : ساحة داخل قلعة مكبث

المشهد الثانى : نفس المكان

المشهد الثالث : نفس المكان

المشهد الرابع : خارج القلعة

الفصل الثالث :

المشهد الأول : غرفة بالقصر فى فوريس

المشهد الثاني : غرفة أخرى بالقصر

المشهد الثالث : حديقة بها ممرّ يؤدى إلى القصر

المشهد الرابع : قاعة لاستقبال الضيوف بالقصر

المشهد الخامس : المسرج

المشهد السادس : مكان ما فى سكوتلاندا

الفصل الرابع :

المشهد الأول : كهف مظلم

المشهد الثاني : غرفة بقلعة مكبث فى فايف

المشهد الثالث : انجلترا ـ غرفة بقصر الملك

الفصل الخامس :

المشهد الأول : غرفة بقلعة مكبث فى دانسينين

المشهد الثاني : فى الريف قرب دانسينين

المشهد الثالث : غرفة بقلعة مكبث فى دانسينين

المشهد الرابع : فى الريف قرب دانسينين أمام إحدى الغابات

المشهد الخامس : داخل القلعة فى دانسينين

المشهد السادس : سهل أمام القلعة

المشهد السابع : موقع آخر فى نفس السهل

المشهد الثامن : موقع آخر من الحقل

المشهد التاسع : داخل القلعة

الفصـــل الأول

الفصل الأول

المشهد الأول
مكانٌ بالعراء

(رعد وبرق ـ تدخل الساحرات الثلاث)

الساحرة الأولى : متى نلتقى نحن الثلاثة مرة أخرى ؟ عند قصف الرعد ، أم وميض البرق ، أم هطول الأمطار ؟

الساحرة الثانية : حين تنتهى المعمعة وتسفر المعركةُ عن هزيمةٍ وانتصار .

الساحرة الثالثة : سيكون ذلك قبل غروب الشمس وانقضاء النهار .

الساحرة الأولى : وأيــن ؟

الساحرة الثانية : فى المرج يكون اللقاء .

الساحرة الثالثة : حيث نقابل مكبث .

الساحرة الأولى : إنى قادمة أيتها القطة جريمالكين .

الجميـــع : الضفدع بادوك ينادينا . فلنبادر بالإياب . . قد غدا الجميل قبيحا والقبيح جميلا . . فَلْنَطِر عبر الهواء الملوّث والضباب .

(يخــرجن)

الفصل الأول

المشهد الثانى

معسكر للجيش قرب فوريس

(صوت أبواق بالداخل - يدخل الملك دانكان ، ومالكولم
ودونالبين ولينوكس مع الحاشية فيقابلون ضابطا جريحا)

دانكان : (للأشراف معه) أىّ رجل هذا دامى الجراح ؟ يبدو من حالته أن بوسعه إخطارنا بآخر تطورات المعركة .

مالكولم : إنه الضابط المقدام الباسل الذى حال بسيفه دون وقوعى فى أسر العدو . (للضابط) تحية لك أيها الصديق الشجاع ! أنْبىء الملكَ بأخبار القتال قبل انصرافك من الميدان .

الضابط : الوضع فى كفّ القدر . والطرفان أشبه بسبّاحَيْن قد أنهكهما التعب ، وتعلّق كلٌ منهما بالآخر فشلّ قدرته على الحركة . . فأما عن مكدونوالد (١) متحجّر القلب ، ذلك الذى تزاحمت فى طوّيته الشرور فأضحى جديرًا بوصف المتمرّد ، فقد وافته تعزيزاتٌ من الجزر الغربية ، مشاة وفرسان ، فى حين بدت إلهة الحظ سعيدة بتمرّده الشرير ، وكأنما هى العاهرة فى جيش العُصاة . غير أنه كان أضعف من أن يحقق النصر . ذلك أن مكبث الباسل (وهو الجدير حقا بهذا الوصف) انبرى متحديا إلهة

---

(١)قائد جيش المتمردين على ملك سكوتلندا ، يسانده ملك النرويج وقوات من أيرلندا وجزر الهبريديز غربىّ سكوتلندا . أما قوات الملك دانكان فكانت بقيادة قريبه مكبث .

الحظ ، شاهرًا سيفًا مضرّجا بدماء تتصاعد منها الأبخرة ، وبدا وكأنه الأثير لدى إلهة الإقدام وهو يشق بالسيف طريقًا وسط حشود الأعداء ، حتى واجه الوغد ، فما حيّاه ولا ودّعه ، وإنما اخترقه بسلاحه من صُرّته إلى فكّيه ، ثم احتزّ رأسه فنصبها فوق جدران الحصن .

دانكان : قريبنا الهمام ! ما أنبله وأبسله !

الضابط : فكما أن العواصف المدمّرة للسفن ، والرعود الرهيبة ، تأتينا من نفس الموقع الذى تبدأ الشمس بإرسال أشعتها منه ، كذلك فإن المتاعب تأتينا من نفس المصدر الذى نخال أن راحتنا ستنبثق منه . فانظر ، أى مليك سكوتلندا ، كيف أنه ما كادت قضيتنا العادلة وبسالتنا تنجحان فى إجبار المشاة الأيرلنديين خفيفى السلاح على الهرب للنجاة بأنفسهم ، حتى جدّد ملك النرويج هجومه حين استشعر فى نفسه القوة ، ووافاه المزيد من السلاح المصقول والمدد من الرجال .

دانكان : فهل أزعج هذا قائدَيْنا مكبث وبانكو ؟

الضابط : أجل ، كما تزعج العصافيرُ النسورَ ، أو الأرنبُ الأسد ! فإن أردتَ الحق قلتُ إنهما كانا أشبه بالمدافع العامرة بالقذائف رهيبة القوة . فقد ضاعف الإثنان من ضرباتهما للعدو ، حتى ما عدتُ أدرى ما إذا كان هدفهما هو الاغتسال فى الدم المتدفق من جراح العدو خبيثة الرائحة ، أو أن يجعلا الموقع أشبه بجُلْجُثَة جديدة [1] . . . بيد أنى أشعر بإغماءة تعترينى ، وجراحى تناشدكم تضميدها .

دانكان : كلماتك جديرة كجراحك بالتوقير ، جميعها تحمل النُّبل فى طيّاتها . . إذهبوا فاطلبوا له الأطباء .

(يخرج الضابط مصحوبا ببعض أفراد الحاشية)

(يدخل روس وآنجوس)

---

(١) الجُلْجُثَة : الموقع الذى صلب فيه المسيح .

(يلتفت)
من القادمان ؟

مالكولم : إنه السيد النبيل روس .

لينوكس : عيناه توحيان بأنه فى عجلة من أمره ، ففيهما نظرة من هو على وشك الإفضاء بحديث غريب .

روس : حفظ الله الملك !

دانكان : من أين قدمتَ أيها السيد النبيل ؟

روس : قدمتُ من فايْف أيها الملك العظيم ، حيث ارتفعت رايات النرويج تتحدّى السماء وتبثّ فى قلوب رجالنا الرعب . وقد بدأ ملك النرويج بنفسه معركة مخيفة ، تعزّزه أعدادٌ رهيبة ، ويعاونه الخائن الأعظم سيّدُ كودور . غير أن مكبث ، حبيب إلهة الحرب ، تقدّم بدرعه ليواجهه بنفس القدر من البسالة والقوة ، ليردّ السيف بالسيف ، وذراع المتمرّد بذراعه ، وليضع حدًا لغلوائه . واختصارًا أقول : كان النصر فى جانبنا .

دانكان : ما أبهجه من خبر !

روس : والآن يعرض سوينو ، ملك النرويج ، الصلح علينا . غير أننا أبينا السماح له بدفن القتلى من رجاله حتى يودع فى جزيرة سانت كولومبا [1] عشرة آلاف من الدولارات لحسابنا جميعا .

دانكان : لن يكون بوسع سيّد كودور أن يخوننا ويعبث بمصالحنا بعد الآن . . إمضِ فأعلنْ أمرنا بإعدامه فورًا ، واستقبلْ مكبث بخبر إنعامنا عليه بلقب سيّد كودور .

روس : سأفعل .

دانكان : وبذا يكون ما فقده الرجل من نصيب مكبث النبيل .

(يخرجون)

---

(١) جزيرة صغيرة فى مواجهة إدنبره .

المشهد الثالث

أحد المروج

(هزيم الرعد ـ تدخل الساحرات الثلاث)

الساحرة الأولى : أين كنتِ يا أختاه ؟

الساحرة الثانية : أقتل الخنازير .

الساحرة الثالثة : وأنتِ يا أختاه أين كنت ؟

الساحرة الأولى : قابلتُ زوجة بحّار فى حِجْر ثوبها كسْتناء ، وهى تقضم وتقضم وتقضم . . قلت لها : « أعطنى » ، فصرخت المرأة السمينة : «أغربى عن وجهى أيتها الساحرة ! » . . وقد أبحر زوجها على ظهر سفينة « النّمر » قاصدًا حلب ، غير أنى سأتبعه مبحرة فى منخل ، وفى صورة فأر لا ذيل له ، فأقضم خشب سفينته وأقضم وأقضم .

الساحرة الثانية : سأزوّدك بريح قوية .

الساحرة الأولى : وحسناتفعلين .

الساحرة الثالثة : وسأزوّدك بأخرى .

الساحرة الأولى : أما سائر الرياح فعندى ، بل وتحت سيطرتى الموانئ التى تهب الرياح منها فتصدّ السفن عنها ، أيّا كانت الجهة من الجهات

المرسومة فى بوصلة البحّار . . سيجعل الظمأ حلْقة فى جفاف الهشيم ، وسأحرمه من النوم ليلاً ونهارًا فلن يداعب أبدًا جفنيه . ستطارده اللعنة مدى الحياة . . وسأرهقه لعدة أسابيع ، تسعة أسابيع مضروبة فى تسعة ، حتى ينحل جسمه ويهِن عَظْمُه . ورغم أن مركبه لن تغرق ، فإن الرياح ستتقاذفها . . أنظرن ما عندى .

الساحرة الثانية : أرينى ، أرينى .

الساحرة الأولى : عندى هنا إبهام ربّان تحطمت سفينته وهو فى طريق عودته إلى وطنه .

(صوت طبل بالداخل)

الساحرة الثالثة : طبل الهيجاء . . مكبث قد جاء . .

الجميع : نحن أخوات القدر ، اليد فى اليد ، نذرع البحر والأرض ، وندور هكذا وندور ، ثلاث خطوات فى اتجاهك ، وثلاث خطوات فى اتجاهى ، وثلاث خطوات أخرى توصل العدد إلى تسعة . صه ! هكذا اكتملت التعويذة .

(يدخل مكبث وبانكو)

مكبث : لم أر فى حياتى يوما فى قبح هذا اليوم وروعته .

بانكو : كم المسافة فى تقديرهم إلى فوريس ؟ (يلاحظ وجود الساحرات) مَن هؤلاء النسوة الذابلات غريبات الزىّ ؟ مظهرهن يوحى بأنهن لسن من أهل هذه الأرض ، ومع ذلك فهنّ عليها . (يتوجه بحديثه إلى الساحرات) أأحياء أنتن ، وهل بوسع المرء أن يحادثكن ؟ يبدو أنكن تفهمننى إذ أراكن ترفعن أصابعكن الغليظة إلى شفاهكن النحيلة . . هيئتكن هيئة النساء ، غير أن لحى وجوهكن تحول دون تصديق ذلك .

مكبث : تكلّمن إن كان بوسعكن الكلام . . من أنتنّ ؟

الساحرة الأولى : تحية لك يامكبث . . تحية لك ياسيد جلامْس !

الساحرة الثانية : تحية لك يامكبث . . تحية لك ياسيد كودور !

الساحرة الثالثة : تحية لك يامكبث . . تحية لك يامن سيصبح ملكا على البلاد .

بانكو : (يلتفت إلى مكبث) مالك ياسيدى قد جفَلت وبدا عليك الخوف من أمور يحلو سماعها ؟ (للساحرات) أناشدكن باسم الحق : أأنتن محض تخيّلات ، أم أنتنّ حقا ما يوحى به مظهركن ؟ لقد حيّيتن رفيقى النبيل بلقب قد حصل عليه [1] ، وبالتنبّؤ الخطير بحصوله على لقب نبيل آخر ، ثم بنيل العرش ، مما أذهله واستغرق فكره . غير أنكن لم توجّهن إلىّ حديثا . فإن كان بوسعكن استطلاع الغيب وبذور المستقبل ، ومعرفة أىّ البذور سينمو وأيها لن ينمو ، فلتتحدثن إلىّ ، إلى رجل لا يرجو منكن فضلا ولا يخشى منكن عداوة .

الساحرة الأولى : تحية لك !

الساحرة الثانية : تحية لك !

الساحرة الثالثة : تحية لك !

الساحرة الأولى : أقل شأنا من مكبث ، وأعظم مكانة .

الساحرة الثانية : أقل سعادة منه ، وأسعد حالا بكثير .

الساحرة الثالثة : ستُنجب الملوك دون أن تكون ملكا . . فالتحية لكما إذن أى مكبث وبانكو .

الساحرة الأولى : لبانكو ومكبث منّا التحية .

---

(١)سيد جلامْس .

مكبث : مهلا أيتها الناطقات بالحديث الغامض وهاتنّ المزيد . . أنا أعلم أن موت سينل[1] قد جعلنى سيد جلامْس . . ولكن ماذا عن كودور ؟ فسيد كودور لا يزال حيا واسع الرزق . أما عن العرش فإن نيله مستبعد شأن نيلى لقب سيد كودور . . فمن أين جاءتكن هذه الأفكار الغريبة ؟ ولماذا تعترضن طريقنا فى هذا المرج المهجور لتحيّيننا بمثل هذه النبوءات ؟ تكلّمن ! آمركن بالكلام .

(الساحرات يختفين)

بانكو : للأرض فقاقيع كما للماء ، وهؤلاء الساحرات مخلوقة منها . . أين اختفين ؟

مكبث : فى الهواء . . وذاب ما كان يبدو كالأجسام ذوبان النَّفَس فى الريح . . ليتهن بقين !

بانكو : أكانت هذه الكائنات التى نتحدث عنها هنا فعلا ، أم أننا أكلنا من جذور النباتات التى تصيب آكلها بالجنون وتأسر العقول ؟

مكبث : سيغدو أولادك ملوكا .

بانكو : وستصبح أنت ملكا .

مكبث : وسيد كودور أيضا . . ألم يقلن ذلك ؟

بانكو : بالضبط كما قلت . . من القادم ؟

(يدخل روس وأنجوس)

روس : لقد أسعد الملك يامكبث أن يتلقى نبأ انتصارك . وإذ قد أحيط علما بمساهمتك الشخصية فى قتال المتمردين ، تنازعته مشاعر قوية من العجب لفعالك ، ومن الرغبة فى الإشادة بك . حتى إذا ما عقل هذا التنازع لسانه، واستعاد فى ذاكرته أحداث بقية ذلك اليوم ، رآك وسط صفوف النرويجيين الأشدّاء تقاتلهم دون أن يخيفك منظر جثث القتلى الذين

---

(١) والد مكبث .

صرعتهم . وقد توافد علينا سيل لا ينقطع من الرسل ، كلهم يمتدح دفاعك الرائع عن مملكته ، ويقدّم إليه التقارير عن فعالك والثناء عليها .

أنجوس : وقد أوفدنا مولانا الملك إليك كى نبلغك شكره وندعوك إلى مقابلته ، لا لإبلاغك بها سيكافئك به .

روس : غير أنه طلب منى إخطارك ـ كعربون لمكافأة أعظم ـ بأنه أنعم عليك بلقب سيد كودور ، وأن أناديك به . فتحية لك أيها السيد الجليل الذى بات يحمل هذا اللقب .

بانكو : ما هذا ؟ أيمكن أن يكون الشيطان صادقا ؟

مكبث : ولكن سيد كودور على قيد الحياة . فلماذا تُلبسنى إذن ثيابا ليست لى ؟

أنجوس : من كان فى الماضى سيّد كودور لا يزال حيا ، غير أن الحكم العادل قد صدر بإعدامه . . لا أعلم ما إذا كان السبب هو تحالفه مع النرويجيين ، أو إمداده للمتمردين خفية بالعون والمساعدة ، أواستخدامه للإثنين معا من أجل تدمير بلاده . غير أن المؤكد أن خيانته العظمى التى اعترف بها وأثبتتها الأدلة قد أطاحت به .

مكبث : (جانبا) سيد جلامُس ، ثم سيد كودور . . والبقية الأعظم تأتى . (لروس وأنجوس) شكرا لكما على ما بذلتماه من جهد . (لبانكو) ألا تأمل الآن فى أن يصبح أولادك ملوكا بناء على وعد أولئك الذين وعدونى بلقب سيد كودور ؟

بانكو : لو صحّ كل ما تحدّثوا به لشجّعك حديثهم على نيل العرش إلى جانب لقب سيد كودور . غير أن الأمر يبدو غريبا . وكثيرًا ما تلجأ قوى الظلام ـ من أجل تدميرنا ـ إلى قول الحق لنا ، وإلى استخدام تفاهات صحيحة من أجل اصطيادنا ، ثم تخوننا وتتخلّى عنا فى اللحظات الحاسمة . (لروس وأنجوس) لدىّ ما أقوله لكما إن أذنتما لى أيها الصديقان .

مكبث : (جانبا) قد ذكرن حقيقتين هما بمثابة مقدمتين سعيدتين للفصل الزاخر

بموضوع العرش . (لروس وأنجوس) شكرًا لكما أيها السيدان . (جانبًا) هذا التشجيع من قوى ما وراء الطبيعة لا يمكن أن يكون شرًا . . . لا يمكن أن يكون خيرًا . . فإن كان شرًا ، فلماذا وعدتنى بالنجاح ، بادئة بذكر ما هو صحيح ، وهو أنى سأصبح سيد كودور ؟ وإن كان خيرًا ، فلماذا أستسلم لإغراءٍ بشعٍ يقف له شعر رأسى ، ويجعل قلبى الثابت يخرج عن طبيعته فيقفز مصطدما بأضلاعى ؟ إن الشرور التى نعانيها لأهون شأنا من توهّمنا لشرورٍ مستقبلة . . وإن فكرى ليزلزل إنسانيتى الواهنة رغم أن الجريمة لم تتجاوز حدود المخيّلة ، فإذا العمل الإيجابى يخنقه إطلاق العنان للخيال ، وإذا بى لا أرى وجودًا إلا لما لا وجود له .

بانكو : (للسيدين) أنظرا كيف استغرق زميلنا فى التفكير العميق .

مكبث : (جانبا) إن كان من المقدّر لى أن أغدو ملكا ، فقد يتوّجنى القدر ملكا دون حاجة منى إلى بذل أىّ جهد .

بانكو : إن الألقاب الجديدة التى أُنعم بها عليه لأشبه بالثياب الجديدة التى لا نرتاح إليها إلا بعد استعمالها والتعوّد عليها .

مكبث : (جانبا) فليحدث ما يحدث ، فلا شك أن الفرصة المناسبة ستحين مهما بدا اليوم معاكسا لها .

بانكو : نحن فى انتظارك أى مكبث النبيل .

مكبث : (للسادة) معذرة وعفوا ، فعقلى الكسول قد شغلته أمور نسيت التصرف فيها . غير أنى لن أنسى يوما ما بذلتموه أيها السادة الأفاضل من جهود من أجلى . . فلنمض إذن إلى الملك . (جانبا لبانكو) فكِّر فيما حدث لنا الآن ، وبعد التروّى بشأنها وإمعان النظر فيها فلنتحدث عنها معا فى حرية تامة .

بانكو : بكل سرور .

مكبث : ولا كلمة عنها حتى ذلك الحين . . (للجميع) هيا أيها الأصدقاء .

(يخــرجــون)

المشهد الرابع
فوريس .. غرفة بقصر الملك .. صوت أبواق

(يدخل دانكان ومالكولم ودونالبين ولينوكس وبعض الأتباع)

دانكان : هل تمّ إعدام كودور ؟ أعاد المكلَّفون بتنفيذ الحكم ؟

مالكولم : لم يعودوا بعد يا مولاى . غير أنى تحادثت مع رجل شهد إعدامه ، وقد أخبرنى أنه اعترف بخيانته بكل صراحة ، وتوسل أن يعفو مولاى عنه ، وعبّر عن ندمه العميق . . لم يكن فى حياته ما يشرّفه قدر ما شرّفته لحظة فقدانها . فقد مات ميتة من درس دوره وحفظه ، فإذا هو يتخلى عن أثمن ما يملكه وكأنما هو شيء لا قيمة له .

دانكان : ليس ثمة وسيلة تتيح لنا أن نفهم من ملامح الوجوه ما يدور فى الأذهان . . لقد أوليت كودور ثقتى المطلقة . . . . .

(يدخل مكبث وبانكو وروس وأنجوس)

(لمكبث) مرحبا بقريبنا العظيم ! إن قلبى لا يزال حتى هذه اللحظة يُثقله الإحساس بأنى لم أوفك حظَّك من الشكر . لقد سبقتنا بمسافة بعيدة بحيث تبدو أسرع مكافأة لك أبطأ من أن يكون بمقدورها اللحاق بك . . ألا ليتك كنت أقل جدارة بالامتنان حتى يكون بوسعى الموازنة بين فضلك ومكافأتك ! وليس لدىّ ما أقوله لك غير أن ماتستحقه يجاوز بكثير ما يمكننا بأسرنا أن نوفيك إياه .

مكبث : تكفيني القدرة على خدمتك والتعبير عن ولائي لك . فما على مولاي إلا أن يتقبّل منا ما هو واجب علينا أن نؤديه . وما واجبنا تجاه عرشك ودولتك إلا كواجب الأبناء والخدم : إن بذلوا كل ما في وسعهم لنيل رضائك والذود عن شرفك فإنما يفعلون ما ينبغي عليهم فعله .

دانكان : مرحبا بك هنا . . فأما ما صنعتُه أنا حتى الآن فهو أني بذرتُ بذرة مجدك التي سأتعهّدها بالسقاية والرعاية حتى تغدو دوحة باسقة . (لبانكو) وأنت أي بانكو النبيل ، ما أراك أقل جدارة ، وما ينبغي أن يحسب الناس صنيعك دون صنيعه . دعني أعانقك وأضمك إلى صدري .

بانكو : فإن نَمَوْتُ في صدرك كانت الثمار كلها لك .

دانكان : يبدو أن سعادتي الغامرة وقد تضخّمت حتى ما عاد بوسعي أن أتحكّم فيها، تحاول إخفاء نفسها في صورة تلك الدموع التي تنهمر من عيني . (للجميع) أبنائي ، أقاربي ، أيها النبلاء وأنتم أيها السادة القريبون من العرش ، لتعلموا أني سأجعل من ولدي الأكبر مالكولم وريثا لي في المُلْك، وسندعوه من اليوم بلقب أمير كمبرلاند . ولن يكون التكريم قاصرًا عليه دون غيره ، وإنما سيعمّ كافة من تثبت جدارتهم حتى يلمعوا كما تلمع نجوم السماء . (لمكبث) سنتوجّه من هنا إلى قصرك في إينفرنيس، فيزيد إكرامُك إيّانا فيه من ديننا لك .

مكبث : كل عمل لا يستهدف خدمتك هو عبء على النفس . . سأنهض أنا نفسي بمهمة الرسول فأسعد زوجتي بخبر سيرك إلى قصرنا . فأذن لي بالانصراف .

دانكان : أجل أي كودور النبيل .

مكبث : (جانبا) أمير كمبرلاند ! هذه لعمري عقبة في طريقي إما أن أعثر بها أو أقفز من فوقها . . فلتخفي أيتها النجوم ضوءك حتى لا يكشف مطامعي السوداء الدفينة . ولترخِ عيناي جفنيهما حتى لا تريا ما تصنعه يداي . غير أنه لابدّ من إتمام الفعلة التي ستستبشعها عيناي . (يخرج) .

دانكان : صدقت يابانكو . إنه كما ذكرتَ امرؤ باسل ، وأنا أدرك تمامًا صفاته الحميدة التى هى بمثابة وليمة عامرة أمامى . . فلنتبعه إذن ، ذلك الذى سبقنا من أجل الإعداد لاستقبالنا . . إنه قريبى [1] الذى لا أجد له بين الناس مثيلا .

(صوت أبواق ـ يخرجون)

---

(١) كان مكبث ابن خالة دانكان .

الفصل الأول

المشهد الخامس
إينفيرنيس - غرفة فى قلعة مكبث

(تدخل ليدى مكبث وهى تقرأ فى خطاب)

ليدى مكبث : « قابَلْنَنى يوم انتصارى . ويقينى الآن أن ما يعرفنه يجاوز معارف البشر . وإذ دفعتْنى الرغبةُ العارمة إلى المضى فى الاستفسار منهن ، تحوّلْن إلى هواء ، واختفين عن الأنظار . وبينما كنت واقفًا وقد تملّكنى العجب لما رأيت وسمعت ، جاءنى رسلُ الملك يحيّوننى بلقب سيد كودور ، وهو اللقب الذى سبق أن حيّتنى به الساحرات ، مضيفات نبوءتهن بأنى سأُلَقَّب فى يوم من الأيام ملكا . وقد رأيت من الخير إخبارك بكل هذا ، أى شريكتى الحبيبة فى المجد ، حتى لا أحرمك من نصيبك من السعادة لو أنى تركتك جاهلة بما تحمله لك الأيام من سؤدد . . ففكّرى إذن فيما قلتُه دون أن تبوحى به لأحد . وإلى اللقاء » .

أنت سيد جلامُس ، وسيد كودور ، وستكون ما وُعدتَ به . غير أن طبيعة شخصيتك تقلقنى . فأنت أكثر رحمة وإنسانية مما ينبغى ، مما سيحول بينك وبين اختيار أقصرالطرق إلى نيل مرامك . . إنك تريد المجد ، ولست بالخالى من الطموح ، غير أنك ترفض الشرور الملازمة للرغبة فى المجد . . تريد نيل المعالى دون أن ترتكب ما يخلّ بالشرف . . تريد أن تكسب ما ليس من حقك ولكن دون غش أو

خداع ، وتطمح يا سيد جلامْس إلى الحصول على شيء يناشدك أن تُقدِم على فعلة معينة من أجل نيله . . تريد الفعلة أن تتم ولكنك تخشى الإقدام عليها . . عجّل بالعودة إلىّ حتى أُلقى فى مسامعك ما يشجّعك ، وحتى يبدّد لسانى بشجاعته كلَّ ما يحول بينك وبين نيل التاج الذهبى الذى يبدو أن القدر وقُوَى ما وراء الطبيعة تريدك أن تلبسه .

(يدخل رسول)

ما الخبر ؟

الرسول : يقدم الملك إلى هنا هذا المساء .

ليدى مكبث : أجُننْت ؟ أليس سيدك معه ؟ لو كان الخبر صحيحا لبعث من يخطرنى حتى أُعدّ للزيارة عُدّتها .

الرسول : عفوا يامولاتى ولكن الخبر صحيح ، ومولاى فى الطريق إلى هنا . وقد سبقه أحد زملائى من الخدم ، فوصل وهو منهك يلهث ، فلم تتجاوز أنفاسُه إبلاغ رسالته .

ليدى مكبث : أَحِطْه بالرعاية الواجبة فقد حمل إلينا أخبارًا رائعة . (يخرج الرسول) قد بُحّ صوتُ الغراب نفسه من كثرة النعيق إذ يعلن المصير المحتوم لدخول دانكان قلعتى . . تعالىْ إذن أيتها الأرواح الراعية للفكر الإجرامىّ ، وجرّدينى هنا من أنوثتى ، واملئينى من قمة رأسى إلى إخمص قدمىّ بأبشع ضروب القسوة ، وأحيلى ما فى عروقى إلى دم غليظ ، وأغلقى كلّ مَنافِذِ النّدم ، حتى لا تُفسد علىّ مشاعرُ الرحمة خطّتى الوحشية ، وتحول بينها وبين نتيجتها . تعالى أيتها الأرواح الفتّاكة إلى صدرى الأنثوى ، واستبدلى بلبن الرقة عصارة الصفراء حيثما شهدت أشكالك غير المرئية شرور الطبيعة . وتعال أيها الليل البهيم متلفّعا بدخان الجحيم الداكن حتى لا ترى سكّينى المشحوذة ما تُحدثه من جراح ، وحتى لا تتمكن السماء من الرؤية عبر أطناب الظلام فتصيح بى « كُفّى ، كُفّى ! » . (يدخل مكبث)

أى جلامْس العظيم ! أى كودور النبيل ! بل وأعظم من الإثنين غدًا كما تنبأ البعض ! لقد أبهجتنى خطاباتك وتجاوزت بى هذا الحاضر الجاهل بما يخبئه الغيب ، بحيث بتّ الآن أرى المستقبل فى الحاضر .

مكبث : أى أحبّ الناس إلىّ ، سيأتى دانكان إلى هنا الليلة .

ليدى مكبث : ومتى يرحل ؟

مكبث : يعتزم الرحيل غدا .

ليدى مكبث : أبدًا لن ترى الشمسُ ذلك الغد . . إن وجهك يامولاى كتاب مفتوح بوسع الناس أن يقرأوا فيه أمورًا عجيبةً . . فإن شئت خداع الزّمان فاسلك سلوك أهل الزمان . . لتكن علامات الترحيب فى عينك وكفّك ولسانك ، ولتبْدُ كالزهرة البريئة وإن كنت كالثعبان تحتها . . هذا الوافد علينا ينبغى أن نستعد لاستقباله . وعليك أن تترك فى يدى تنظيم الأمور العظيمة التى ستجرى هذه الليلة . وهى أمور ستضع فى أيدينا وحدنا فى كافة الليالى والأيام مستقبلاً سلطةَ الملوكِ وهيمنتَهم .

مكبث : سنعود إلى هذا الحديث فيما بعد .

ليدى مكبث : ولكن لا تدع وجهك يفصح عما بداخلك . فتغيّر الملامح هو دائما علامة الخوف . . ولتدع الباقى كله علىّ .

(يخرجـــان)

المشهد السادس

نفس المنظر ـ أمام القلعة ـ موسيقى ومشاعل

(يدخل دانكان ومالكولم ودونالبين وبانكو ولينوكس
ومكدَف وروس وأنجوس وعدد من الأتباع)

دانكان : جميلٌ موقع هذه القلعة . والهواء المنعش اللطيف يوافق حواسنا الرقيقة .

بانكو : إن الطيور التى تزورنا فى الصيف لَتُثبت ببنائها أعشاشها الحبيبة على جدران الكنائس أن النسيم هنا رقيق عاطر . فما من جدار ناتئ ولا حلية حجرية ولا دعامة حائط ولا ركن مُشرِف إلا بنت عليها هذه الطيور أوكارّها المعلّقة ، ومهدَ صغارٍ تنجبها . وقد لاحظتُ أن أجمل المواقع هواء هى تلك التى يُفضّل الطيرُ التردّد عليها ، والتكاثر فيها .

(تدخل ليدى مكبث)

دانكان : أنظروا ! هذه مضيفتنا الموقّرة . (لليدى مكبث) إن الحب الذى يكنّه لنا الآخرون هو أحيانا مصدر إزعاج لنا ، غير أننا نظل مع ذلك ممتنيّن له . ولذا فإنى أنصحك بدعاء الله أن يكافئنا على إزعاجنا لك ، وأن تشكرينا على هذا الإزعاج .

ليدى مكبث : كل خدمة نؤديها لك ، ولو كررناها مرة بعد مرة ، ثم مرة بعد مرة ،

تبدو باهتة واهنة متى قورنت بالأفضال العديدة العظيمة التى كالها جلالتكم كيلا لبيتنا . وما أحسب إلا أننا سنظل حامدين ومسبّحين بما أنعمت علينا به من أفضال سالفة ولاحقة .

دانكان : أين سيد كودور؟ لقد تبعناه مسرعين وآملين أن نسبقه لنبشّر بمقدمه . غير أنه يجيد العَدْو بفرسه ، وكان حبّه العظيم الذى هو فى حدّة مهماز الفرس ، معاونا له على الوصول إلى داره قبلنا . . إننا ضيوفك الليلة أى مضيفتنا الجميلة النبيلة .

ليدى مكبث : خدمك ياسيدى ، وخدم خدمك ، وكل ما يملكون ، لا هدف لهم غير مرضاتك ، وما يبذلون فى سبيل مولاى إلا ما هو بالفعل ملك لمولاى .

دانكان : ناولينى يدك وأرينى الطريق إلى مضيفى . . إننا نحبه أعظم الحب ، وفى نيتنا الإنعام عليه بالمزيد . . بعد إذنك أيتها المضيفة .

(يخرجـــون)

المشهد السابع

نفس الموقع ـ غرفة القلعة ـ موسيقى ومشاعل

(يدخل النّادل وعدة خدم يحملون الصحون وأدوات المائدة ،
ثم يدخل مكبث)

مكبث : (جانبا) لو أن الأمر ينتهى تماما بانتهائه لكان من الخير إنهاؤه بسرعة. ولو أن الجريمة كانت دون عواقب ودون نتائج غير موت الرجل لعجّلت بارتكابها . حينئذ تكون الضربة القاضية هى كل شىء فى هذه الحياة الدنيا ونهاية كل شىء . غير أننا هنا على ساحل الأبدية وفى هذا البرزخ الضيق للزمان ، نخاطر بمجابهة الحياة الآخرة. لكننا فى مثل تلك المواقف نجد العدالة فى الأرض هنا لا تزال قائمة . فإن نحن علّمنا الآخرين القتل ووعوا درسنا ، عادوا إلى معلّمهم ليقتلوه . وهكذا نرى الانتقام العادل يعيد إلينا الكأس الذى دسسنا فيه السم لغيرنا فنرفعه إلى شفاهنا . . . إنه يأتمننى لأكثر من سبب : فأنا قريبه ومن رعاياه ، وهو ما يخلق حائلاً قويّا دون تلك الفعلة . ثم إنى المضيف الذى من واجبه أن يوصد الأبواب فى وجوه الراغبين فى قتله ، لا أن يرفع عليه السكين هو نفسه . ثم إن دانكان هذا كان دائما يمارس سلطاته فى تواضع ، ومهامه دون تثريب ، فلاشك أن فضائله ستتحدث عن نفسها كما تتحدث الملائكة ، وتدين بصوت عال كصوت الأبواق فعلة اغتياله اللعينة .

ولاشك أيضا فى أن الحسرة على مصيره ستكون بمثابة الطفل العارى عند مولده فوق صهوة الريح ، أو ملائكة السماء فوق جياد لا تدركها الأبصار ، فتدرك الأعين كافة شناعة الفعلة ، وتنسكب الدموع منها مدرارًا فتخمد الريح . . . إنه ما من حافز عندى على تحقيق مرامى غير مطامحى وآمالى . وهو طموح إذ يحاول القفز لامتطاء الفرس قد يجاوز الفرس فيقع على الجانب الآخر منه .

(تدخل ليدى مكبث)

ما الأخبار ؟

ليدى مكبث : كاد يفرغ من طعامه . . ما الذى دفعك إلى مغادرة الحجرة ؟

مكبث : هل سأل عنى ؟

ليدى مكبث : ألا تدرى أنه قد فعل ؟

مكبث : لن نمضى خطوة أخرى فى هذا الشأن . لقد كرّمنى فى الآونة الأخيرة، واكتسبت لدى مختلف الناس سمعة طيبة علىّ أن أحتفظ بها وهى فى بريقها وطلاوتها ، ولا أتخلّى عنها بهذه السرعة .

ليدى مكبث : أفكان الأمل إذن زائفا ذلك الذى راودك ؟ أصَحَا بعد غشية أم أفاق بعد سكرة شاحب الوجه خائفًا مما أطلق العنان له ؟ من الآن فصاعدا سأرى حبّك لى أيضا شاحب الوجه جبانا . أفتخشى أن تكون فى فعالك وبسالتك ما أنت فى رغبتك ؟ أم أراك تريد نيل ما تعتبره أثمن ما فى الحياة وتقنع رغم هذا بحياة الجبناء ، تُردّد فى آن واحد : « أريد » و « لا أجرؤ » ، شأن القط الذى يريد اصطياد السمكة ويخشى أن يبتلّ قدمه ؟

مكبث : كفى أرجوك . لدىّ الشجاعة أن أفعل كل ما هو خليق بالإنسان أن يفعله . أما من يجرؤ على فعل المزيد فليس فى عداد البشر .

ليدى مكبث : فأىّ وحش إذن دفعك إلى مفاتحتى فى هذا الأمر ؟ قد كنت رجلا حين

كانت لديك الجرأة على الإقدام . وستكون أكثر رجولة لو أنك فعلت ما من شأنه أن يرفعك إلى مركز فوق الذى أنت فيه . . لم يكن الوقت ولا المكان حينذاك موافقا لإتمام الفعلة ، ومع ذلك فقد كنت عاقد العزم على تحيُّن الفرصة وتوفير المكان . وها أنت الآن فى الوقت المناسب والمكان المناسب ، فإذا بمناسبتهما تودى بثقتك فى نفسك . . لقد أرضعتُ طفلى وخبرتُ حنان الأم تجاه رضيعها . غير أنـى لعلى استـعداد لأن أنتزع حلمة ثديى من فمه الذى لا أسنان فيـه ، حتى إن كان يبتسم فى وجهى ، بل وأن أهشّم له رأسه ، لو أنـى كنت قد أقسمـتُ أن أفعل ذلك كما أقسمت أنت أن تقتل الملك .

مكبث : وماذا لو فشلنا ؟

ليدى مكبث : نفشل ؟! إحزم شجاعتك ولن نفشل . . سيأوى دانكان إلى فراشه للنوم ، وسيكون نومه عميقا بفضل رحلته الشاقة خلال اليوم . عنـدئذ سأوفر الشـراب ووسائل اللهو لحارسَىْ بابه ، فتتبخّر ذاكرتهمـا حارسةُ العقل ويغدو العقل عندهما بمثابة القارورة الخاوية . حتى إذا ما أغرقهما الخمر فى نوم كنوم الخنازير أو كالموت ، كان بوسعك ووسعى أن نفعل كل ما نريده بدانكان وقد غابت عنه الحراسة ، ثم نلقى مسئولية فعلتنا الكبرى على عاتق الحارسين المخمورين .

مكبث : لا تُنْجِبى من اليوم إلا ذكورًا ! فطبيعتك القوية الحازمة خليقة بإنجاب الذكور لا الإناث . . سنلوّث ملابسى وأيدى حارسى غرفته النائمين ، ونستخدم خنجريهما ، فيحسب الناس أنهما قد ارتكبا الفعلة .

ليدى مكبث : لن يجرؤ أحد على أن يحسب غير ذلك ، خاصة إن نحن ولولنا وأبدينا الجزع لموته .

مكبث : قد استقر رأيى وهيّأت كل أعضاء جسدى للإقدام على هذه الفعلة الرهيبة . . هيّا ! ولنخدع العالم باتخاذنا مظهر السعيد غير الخائف ، ولنُخْفِ وراء وجهنا الزائف ما يعتمل فى القلب الزائف .

(يخرجان)

الفصــــل الثـــانى

الفصل الثانى

المشهد الأول

نفس المكان ـ فناء داخل القلعة

(يدخل بانكو وأمامه ابنه فليانس يحمل مشعلاً)

بانكو : كم مضى من الليل ياغلام ؟

فليانس : قد غاب القمر ، ولم أسمع دقات الساعة .

بانكو : هو يغيب عند منتصف الليل .

فليانس : إذن فقد جاوزت الساعة الثانية عشرة ياسيدى .

بانكو : خذ سيفى هذا . . . يبدو أن السماء أرادت التوفير فأطفأت كافة مصابيحها . . . خذ هذا أيضا . . قد أثقل الكرى جفونى غير أنى أقاومه . . رحماك اللهم ، واصرف عنى تلك الأحلام المزعجة التى تأتى الناس ساعة خلودهم إلى الراحة . . أعد إلىّ سيفى !

(يدخل مكبث مع خادم يحمل مشعلا)

(لمكبث) من هناك ؟

مكبث : صديق لك .

بانكو : ألم تأوِ إلى فراشك بعد ياسيدى ؟ قد توجّه الملك إلى فراشه وهو فى حال من السرور الغامر ، بعد أن أرسل الهدايا الثمينة إلى من هم فى خدمتك ،

وهذه المأساة إلى زوجتك التى أسماها بأكرم مضيفة ، ثم أنهى يومه وهو فى أتم الرضا .

مكبث : لولا مفاجأته لنا بالزيارة لما ظهر منا هذا التقصير فى خدمته ولأوفيناه حقه من التكريم .

بانكو : كان كل شىء على ما يرام . . لقد رأيت ليلة البارحة فى منامى الساحرات الثلاث اللواتى وعدنك بأمور تحقق بعضها .

مكبث : أنا لا أفكر فيهن . غير أنى أريد التحدث معك فى هذا الشأن إن تكرمت علىّ فيما بعد بساعة من وقتك .

بانكو : أنا طوع أمرك .

مكبث : فإن أنت ناصرتنى عندئذ فسأمهد أمامك طريق المجد والشرف .

بانكو : فإن كان طريق الشرف هذا لا يضطرنى إلى فقدانه ، بل يُبقى على النقاء والولاء فى صدرى فسأستمع إلى نصحك .

مكبث : فحتى ذلك الحين لتهنأ ليلتك .

بانكو : شكرا ياسيدى ، وطاب نومك .

(يخرج بانكو وفليانس)

مكبث : (للخادم) إذهب وقل لمولاتك أن تقرع الجرس متى أعدّت شرابى . إمض إلى فراشك . (يخرج الخادم) أهذا خنجر ذاك الذى أراه أمامى ومقبضُه قُبالة يدى ؟ (يوجه حديثه إلى الخنجر) تقدّم حتى أمسك بك . . لم أمسك بك وإن كنت لا أزال أراك . أتُدركك أيها الخيال المشؤوم حاسة البصر دون حاسة اللمس ؟ أم أنك خنجر فى العقل وحده ووهم زائف خلقه العقل المرهق من طول التفكير ؟ لا أزال أراك ، وأكاد ألمسك كما ألمس هذا الخنجر الذى أستلّه الآن . . إنك تشير لى فى اتجاه الطريق الذى كنت سأسلكه ، وأنت نفس الأداة التى كنت أنوى استخدامها . . سائر مداركى تتّخذ من عيناى مادة لسخريتها . أو ربما كانت لعيناى قيمة

تفوق قيمة مداركى الأخرى مجتمعة .. لا أزال أراك ! وعلى نصلك ومقبضك قطرات من الدم لم تكن عليهما من قبل .. لا شىء هناك من هذا القبيل .. إنه ذلك الأمر الدموى ما يبدو هكذا أمام عيناى . ففى شطر العالم المظلم تخمد أصوات الطبيعة ، ثم تأتى الأحلام الخبيثة لتنتْهك حرمة النوم .. ها هو السِّحر يحتفل بقرابين ملكة الساحرات شاحبة الوجه ، وها هو شخص الإغتيال الذاوى وقد أزعجه حارسه الذئب إذ يعوى لتحذيره ، يتقدم بخطى سريعة دون صوت ، شبيهة بخطى تاركوين إذ يتقدم لتنفيذ خطته [1] ، وشبيهة بخطْو الأشباح .. فيا أيتها الأرض الآمنة الثابتة ، لا تسمعى وقع خُطاى حيثما توجَّهَتْ ، حتى لا تُفشى الحجارةُ ذاتها سرّ اتجاهى ، فتقيم حاجزاً بين الفعلة المعتزمة والظروف المناسبة لها .. غير أنه يظل على قيد الحياة ما دمت مكتفيا بالوعيد والأقوال . وما أنفاس الكلمات إلا ريح باردة إن هى قورنت بحرارة الأفعال .

(دقات جرس)

سأمضى وأفعلها .. الجرس يدعونى .. لا تسمعه يا دانكان . فما هو إلا ناقوس النذير ، يدعوك إلى الجنة أو إلى نار السعير . (يخرج)

---

(١) فى الأساطير الرومانية : قام تاركوين ، وهو أحد ملوك روما ، باغتصاب لوكريس ، زوجة صديقه ، أثناء إقامته ضيفا فى منزلهما تحت جنح الظلام .

الفصل الثانى

المشهد الثانى

نفس المكان ـ تدخل ليدى مكبث

ليدى مكبث : الشراب الذى أسكرهما قد زاد من جرأتى . والسائل الذى أخمدهما قد شحذ همتى . . صه ! ما هذا ؟ لا . . مجرد صياح بومة . صياح كناقوس الموت بالليل ينذر بحلول الأجل . . هو الآن يرتكب فعلته . . الأبواب مفتوحة ، والحارسان المخموران يسخران من مهمتهما بالشخير . قد دسست مخدّرا فى كأسيهما ، فما عاد بوسع امرئ أن يقطع بها إذا كانا فى عداد الموتى أم فى عداد الأحياء . .

مكبث : (فى الداخل) من هناك ؟ من هناك ؟

ليدى مكبث : واأسفاه ! أخشى أن يكونا قد استيقظا فأفسدا خطتنا . . وستجلب المحاولة ، دون الفعلة ذاتها ، كارثة علينا . . صه ! لقد وضعت خنجريهما فى مكان يسهل عليه رؤيتهما فيه . . آه لو أن دانكان لم يكن فى نومه شديد الشبه بأبى ، إذن لكنت فعلتها بنفسى . . زوجى !

(يدخل مكبث)

مكبث : قد فعلتُها . . . ألم تسمعى صوتا ؟

ليدى مكبث : سمعت بومة تصرخ ، وجَداجِدَ تصيح . . ألم تتكلم أنت ؟

مكبث : متى ؟

ليدى مكبث : الآن .

مكبث : أثناء نزولى ؟

ليدى مكبث : أجل .

مكبث : صه ! من الذى يشغل الغرفة المجاورة له ؟

ليدى مكبث : دونالبين .

مكبث : (يتفحص يديه) ما أبشع منظرهما !

ليدى مكبث : هو غباء منك أن تتحدث عن بشاعة منظرهما .

مكبث : ضحك أحدهما [1] فى نومه ، وصاح الثانى « جريمة ! » ، حتى لكاد كل منهما أن يوقظ الآخر . ووقفت أصخى السمع . غير أنهما ردّدا صلواتهما واستعدا مرة أخرى للنوم .

ليدى مكبث : هما اثنان فى الحجرة .

مكبث : صاح أحدهما : « اللهم رحمتك » ، وقال الثانى : « آمين » ، وكأنما قد شاهدا نى وشاهدا يدىّ الشبيهتين بيدىْ الجلاّد . وإذ وقفت أستمع إلى تعبيرهما عن خوفهما ، لم أستطع أن أنطق بلفظ « آمين » بعد أن قالا : « اللهم رحمتك » .

ليدى مكبث : هوّن عليك .

مكبث : ولكن لماذا لم أستطع أن أنطق بلفظ « آمين » ؟ كنت فى أمس الحاجة إلى رحمة الله ومع ذلك فلم أتمكن من قول « آمين » .

ليدى مكبث : مثل تلك الأفعال لا ينبغى أن نفكر فيها على هذا النحو وإلا أصابنا جنون .

---

(١) يقصد أحد الإثنين اللذين يشغلان الغرفة المجاورة لغرفة الملك ، وهما ابنا الملك ، دونالبين ومالكولم .

مكبث : خُيّل إلىّ أنى سمعت صوتا يصيح : « لن تعرف النوم بعد اليوم ! لقد صرع مكبث النوم » . . النوم البرئ . . النوم الذى يرتق ما تفتقه الهموم . . ذلك الموت اليومى الذى يختم حياة كل نهار . . ذلك الذى يغسل الكلالة ، ويضمد جراح الأذهان ، ويمدّنا بالقوة على العيش، ويوفّر لنا قوت الحياة . . . .

ليدى مكبث : ماذا تعنى ؟

مكبث : وعاد يصيح فى الدار كلها : « لن تعرف النوم بعد اليوم ! لقد صرع جلاميس النوم فلن ينام كودور بعد اليوم . . لن يعرف مكبث النوم بعد اليوم ! » .

ليدى مكبث : من الذى صاح هكذا ؟ آه أيها السيد الجليل ، إنك لتدع قوّتك النبيلة تفرغ نفسها بمثل هذه الأفكار السقيمة . إمض فاحضر ماءً تغسل به ما على يدك من قذارة تشهد على فعلتك . . . لماذا أحضرت معك هاذين الخنجرين من مكانهما ؟ لابد من تركهما هناك . . خذهما وامض فلطخ الخادمين النائمين بالدم .

مكبث : لن أذهب مرة أخرى . . إنى لأخشى أن أفكر فيما ارتكبت ، ولا أجرؤ على مواجهته مرة ثانية .

ليدى مكبث : إنك امرؤ واهن العزم . أعطنى الخنجرين . . ما النائم والميت إلا صورتان ، ولا يخاف من صورة الشيطان إلا الأطفال . . فإن كان الدم لا يزال ينزف منه ، فسألطخ به وجهئ الحارسين هناك حتى تبدو الجريمة من صنعهما .

(تخرج . . صوت قرع على الأبواب فى الداخل)

مكبث : من أين يأتى صوت القرع هذا ؟ ما هذا الذى أصابنى حتى بات كل صوت يخيفنى ؟ وما هاتان اليدان هنا ؟ ها ! إنهما ينتزعان عيناى من مآقيهما . أبوسع كل بحار الإله نيبتون أن تغسل عن يدى هذا الدم ؟

كلا . بل الأحْرى أن تغيّر يدى هذه من لون البحار مجتمعة فتُحيل زرقتها احمرارًا .

(تعود ليدى مكبث إلى الظهور)

ليدى مكبث : يداى أيضا فى لون يدك ، غير أنى لأخجل أن يكون فى قلبى ما فى قلبك من الجبن . (طرق على الأبواب) أسمع طرقا على باب المدخل الجنوبى . لنمض إلى غرفتنا . . قليل من الماء كفيل بأن يغسل عنا التهمة . فالأمر هين إذن . . قد فارقك الحزم ووهنت قوتك . (طرق على الباب) صه ! مزيد من القرع على الباب . . فلتلبس ملابس النوم خشية أن يقتضى الأمر استدعاءنا فإذا نحن مستيقظين لم نأو إلى الفراش . . لا تَهِن هكذا فيُلهيك الفكر عن كل شىء .

مكبث : إحساسى بالذنب يجعلنى أفضل فقد الإحساس بنفسى . (طرق على الباب) فلتستيقظ أى دانكان على صوت هذا القرع على الباب . . ألا ليتك تستطيع ! (يخرجان)

المشهد الثالث

نفس المكان ـ يدخل بوّاب

البوّاب : أىّ طرق مزعج هذا ! لو كنت بوّاب الجحيم لما عرفت الراحة لكثرة الوافدين ! (طرق) طرقٌ ثم طرق ثم طرق ! من هناك بحق إبليس ؟ ثمة مزارع شنق نفسه لخشيته من أن تؤدى وفرة المحصول إلى انخفاض سعر ما زرع ! هيّا ادخل فقد أتيت فى الوقت المناسب . وآمل أن تكون قد أحضرت عددا كافيا من المناديل معك حيث أن العرق الغزير سيتصبّب منك جزاء فعلتك . . (طرق) طرقٌ ثم طرق . . من هناك بحق الشيطان؟ نعم ! وثمة متلاعب بالألفاظ يُقسم على صحة القول وعكسه ، ارتكب الخيانة ضد وطنه باسم الدين ، غير أن تلاعبه بالألفاظ لم يفلح فى إدخاله الجنة . . هيا ادخل أيها المتلاعب ! (طرق) طرقٌ ثم طرق ثم طرق ! من هناك ؟ وثمة خيّاط إنجليزى وفد إلى الجحيم هنا لسرقته سروالا فرنسيا . . هيا ادخل أيها الخياط وسخِّن مكواتك هنا . (طرق) طرقٌ ثم طرق . . لا راحة ولا هدوء . . من أنت ؟ غير أن هذا المكان أبرد من أن يكون الجحيم . فلن أكون إذن الشيطان الحارس لبابه . . كنت أحسبنى قد أدخلتُ نفرا من أهل كل صناعة ، سلكوا طريق الملذات إلى السعير الأبدى . (طرق) حالا ، حالا . ورجائى ألا تنسوا بقشيش البواب .

(يفتح الباب)

(يدخل مكدف ولينوكس)

مكدف : أطال سهرُك أيها الرجل فطال نومك ؟

البوّاب : ظللنا نشرب ياسيدى حتى الصياح الثانى للديك . والشراب كما تعلم ياسيدى هو المسئول الأول عن ثلاثة أمور .

مكدف : وما الأمور الثلاثة التى يتحمل مسئوليتها الشراب ؟

البواب : حمرة الأنف ، وغلبة النعاس وكثرة البول . . أما الشهوة الجنسية ياسيدى فإن الشراب يشعلها ويخمدها . يثير الرغبة ويشلّ الأداء . . لذا يمكن القول بأن الإفراط فى الشراب متلاعب بالشهوة : يخلقها ويسحقها . يثيرها ويعصف بها . يشجعها ويثبّطها . يوقفها ثم يُقعدها . وهو فى النهاية يُنيمها ويُرقدها ثم يهجرها .

مكدف : أغلب ظنى أن الشراب قد أرقدك ليلة أمس .

البواب : أجل ياسيدى . أرقدنى وصلبنى على فراشى . غير أنى جازيته على فعلته . غالبتُه فغلبته . ورغم أنه أفلح مرة أو مرتين فى شلّ ساقىّ من تحتى ، فقد أفلحتُ أنا فى الإفلات من قبضته .

مكدف : هل استيقظ سيدك ؟

(يدخل مكبث)

قد أيقظه قرعُنا للباب . ها هو قد أقبل .

لينوكس : (لمكبث) سعد صباحك أى سيدى النبيل .

مكبث : وسعد صباحكما معا .

مكدف : هل استيقظ الملك ياسيدى ؟

مكبث : لم يستيقظ بعد .

مكدف : أمرنى أن أوافيه فى ساعة مبكرة ، وقد كدت أن أتأخر عليه .

مكبث : سأوصلك إلى مكانه .

مكدف : أعلمُ أن زيارتَه كانت سارة ومزعجة لك فى آن واحد . غير أنها لاشك كانت مزعجة .

مكبث : التعب فى سبيل ما نحب راحة . . ها هو الباب .

مكدف : سأتجرأ فأدخل ما دمتُ قد كُلّفت بذلك .

(يخــرج)

لينوكس : أيعتزم الملك الرحيل اليوم ؟

مكبث : نعم . كذا كان قراره .

لينوكس : كانت ليلة عاصفة ، حتى لقد عصفت الرياح بمداخن البيت الذى بتنا فيه . وقد قيل إن نحيبا قد سُمع فى الهواء ، وصرخات الموت الغريبة تنبئ فى لهجة مخيفة بوقوع كوارث داهمة ، وأحداث مضطربة هى ثمرة هذا الزمن العصيب . وقد ظل صياح البوم مستمرا طيلة الليل . وقال البعض إن الأرض أصابتها الحمى فباتت ترتعش .

مكبث : كانت ليلة عصيبة .

لينوكس : لا تجد ذاكرتى الشابة مثيلا لها فى الماضى .

(يعود مكدف إلى الظهور)

مكدف : ويلاه ، ويلاه ، ويلاه ! بشاعة يعجز اللسان عن وصفها ، والقلب عن أن يعيها .

مكبث ولينوكس : ماذا حدث ؟

مكدف : قمة الفوضى بعينها ! قد اقتحمت الجريمة النكراء معبد الرب المقدس ، وسلبت المبنى حياته !

مكبث : ما هذا الذى تقول ؟ حياته ؟

لينوكس : أتعنى جلالة الملك ؟

مكدف : أدخلا الغرفة وعذّبا ناظريكما برؤية المنظر البشع . لا تطلبا منى أن أتكلم . أُنظرا بنفسيكما ثم تكلّما .

(يخرج مكبث ولينوكس)

أفيقوا ، أفيقوا ، واقرعوا نواقيس الخطر . جريمة وخيانة ! بانكو ، دونالبين ، مالكولم ! أفيقوا ! أفيقوا من نومكم الناعم الشبيه بالموت ، وانظروا إلى الموت نفسه ! إنهضوا وتعالوا فانظروا يوم الحشر ! مالكولم ! بانكو ! قوموا قيامكم من قبوركم ، وتعالوا فى خطو الأشباح لتنظروا إلى هذه البشاعة النكراء . . إقرعوا الناقوس .

(الناقوس يدق)

(تدخل ليدى مكبث)

ليدى مكبث : ماذا حدث فاستدعى دق هذا الناقوس البشع الذى يدعو النائمين بالدار إلى التجمع ؟ تكلم ! تكلم !

مكدف : سيدتى الرقيقة ، لا يجوز أن يسمع مثلك ما بوسعى أن أقوله . فإلقاؤه فى مسمع امرأة كفيل بأن يقتلها .

(يدخل بانكو)

بانكو ! أُواه يابانكو لقد اغتيل مولانا الملك !

ليدى مكبث : ويلاه ! ويلاه ! أفى بيتنا يُقتل ؟

بانكو : هى جريمة نكراء حيثما قُتل . . أى مكدف العزيز ، رجائى أن تُكذّب نفسك وتتراجع عما قلت .

(يعود مكبث ولينوكس إلى الظهور)

مكبث : لو أنى مِتّ قبل هذا الحدث بساعة لكانت حياتى سعيدة هانئة . فمن هذه اللحظة لن أجد شيئًا يستحق أن يعيش المرء من أجله . .

ما فى الحياة غير دُمًى ولعب . . الشهرة قد ولّى بريقها ، والمجد قد مات . . خمر الحياة قد سُكبت، ولم يبق للعالم غير الثمالة يفاخر بها .

(يدخل مالكولم ودونالبين)

دونالبين : ماذا حدث ؟ أأصيب أحد بمكروه ؟

مكبث : أُصبتَ أنت بمكروه وأنت لا تدرى ، وأضحى الينبوع الذى تفجرت منه دماؤك أثرًا بعد عين ، وأُهيل التراب على منفذه .

مكدف : قد اغتيل والدك الملك .

مالكولم : واحسرتاه ! من فعلها ؟

لينوكس : يبدو أن حارسىْ غرفته هما مرتكباها . فالدم يلطّخ أيديهما ووجهيهما ، وكذا خنجريهما اللذين عثرنا عليهما فوق وسادتيهما فى تلك الحالة . . وقد ظلا يحملقان وكأنهما قد غاب عنهما الوعى . . وما كان ينبغى ائتمانهما على حياة أىّ إنسان .

مكبث : ومع ذلك فإنى الآن نادم أن قد غلب علىّ الغضب فقتلتهما .

مكدف : ما الذى دفعك إلى فعل ذلك ؟

مكبث : من الذى يمكنه أن يكون حكيما ساعة اضطرابه ، معتدلا لحظة غضبه، وفيا ومحايدا فى نفس الوقت ؟ لا أحد . . قد سبق حبى الشديد له عقلى المتروّى . . فهنا كان يرقد دانكان وعلى أديم جسمه الفضّى خطوط متشابكة من دمه الذهبى . وبدت جراحه الفاغرة أفواهها فتحات ينفذ منها الموت والدمار . وهناك كان القاتلان وعليهما آثار فعلتهما ، وقد غطى الدم خنجريهما فكأنما هو غمداها . فمن كان بوسعه أن يمنع نفسه ـ لو كان فى قلبه المحبة والشجاعة ـ من أن يعبّر عن حبه مثلما عبّرت ؟

ليدى مكبث : (وقد أصابها الإغماء) أدركونى !

مكدف : أغيثوا السيدة .

مالكولم : (جانبا لدونالبين) لماذا نسكت والأمر يخصّنا أكثر مما يخص غيرنا ؟

دونالبين : (جانبا لمالكولم) وماذا عسانا نقوله وقَدرُنا هنا قد يهبّ فيعصف بنا عصفا ولو كنا مختبئين فى حُجر ضبٍّ صغير ؟ فلننصرف من هنا ، فما حان بعدُ الوقتُ المناسب لذرْف الدموع .

مالكولم : (جانبا لدونالبين) ولا حان الوقت المناسب لحزننا العميق أن يعبّر عن نفسه بالأفعال .

بانكو : أغيثوا السيدة !

(يحمل البعض ليدى مكبث ويخرجون بها)

وبعد أن نرتدى ملابسنا كى نقى أبداننا الضعيفة من البرد ، فلنجتمع حتى ندرس تلك الفعلة الدموية فنعرف ما وراءها . إن المخاوف والشكوك تهزنا هزا. لكنى أُشهد الله على أنى متى عرفتُ الدافع المجهول إلى ارتكاب هذه الخيانة النكراء فسأقاتل صاحبه .

مكدف : وكذا أنا .

الجميع : وكذا نحن جميعا .

مكبث : فلنسرع بارتداء ملابسنا ثم نجتمع فى البهو معا .

الجميع : أصبت .

(يخرج الجميع عدا مالكولم ودونالبين)

مالكولم : ما الذى تنتويه ؟ أرى ألا نجتمع معهم فنضطر إلى المشاركة فى التعبير عن حزن لا يشعرون به ، وهو ما يسهل على كل خائن فعله . . سأمضى إلى انجلترا .

دونالبين : وسأمضى أنا إلى أيرلندا . فافتراق السبل بنا كفيل بأن يؤمّن حياتنا . أما

هنا فثمة خناجر فى ابتسامات الناس ، أقربهم مِنّا رَحِما أخلاهم من الرحمة بنا .

مالكولم : لا يزال السهم الذى قتل أبانا طائرًا فى الهواء ، وخير لنا أن نتجنّبه . . فلنمض إلى أحصنتنا ، ونتسلّل خارجين دون أن نعبأ بتوديع إنسان . فثمة ما يبرر التسلّل حين يخلو من الرحمة مكان .

(يخرجان)

الفصل الثانى

المشهد الرابع
خارج القلعة

(يدخل روس ورجل عجوز)

العجوز : سبعون عاما أذكرها جيدا . رأيت خلالها ساعات عصيبة وأمورًا غريبة ، كلها تبدو الآن تافهة بالمقارنة بهذه الليلة الرهيبة .

روس : ما تراه يا أبتاه هو السماوات وقد أزعجها صنيع الإنسان فهددت مأواه الدموى . . الساعة تشير إلى أن النهار قد طلع ، غير أن الليل البهيم يخنق ضوء الشمس المشرقة . . أهى قوة الليل أم عارُ النهار ما يجعل الظلمة تغلّف وجه الأرض حين كان المفروض أن تقبّله أشعة الضوء ؟

العجوز : هو أمر فى غرابة وشذوذ الفعلة التى ارتُكبتْ . . فى يوم الثلاثاء الماضى كان ثمة صقر يطير فى الأعالى متباهيا ، حين اصطادته وقتلته بومة من البوم الذى يتصيّد الفئران عادة .

روس : وثمة ما هو أغرب وأوثق خبرا . لقد كان لدانكان أحصنة جميلة سريعة العدو، هى من خيرة صنوف الجياد ، فإذا هى تنقلب إلى أحصنة برية متوحشة ، وتكسر مربطها فى الحظيرة ، واندفعت ترفس وتقاوم كل محاولة لكبح جماحها ، وكأنها هى فى حالة حرب مع الإنسان .

العجوز : يقال إن بعضها التهم بعضا .

روس : أجل ، وهو ما أذهلنى إذ وقفتُ أراقب صنيعها .

(يدخل مكدف)

ها هو مكدف النبيل قد أقبل . . ما أخبار الدنيا الآن ياسيدى ؟

مكدف : أما علمتَ بها ؟

روس : هل اكتشفتم هوية مرتكب تلك الجريمة الدموية البشعة ؟

مكدف : هما اللذان قتلهما مكبث .

روس : واأسفاه ! أفكان لديهما حافز على اغتياله ؟

مكدف : دفعهما الغير إلى ارتكاب الفعلة . . وقد تسلّل مالكولم ودونالبين ، إبنا الملك ، ولاذا بالفرار ، وهو ما يثير حولهما شبهة اغتياله .

روس : وهذا أيضًا من شواذ الأمور : طموح أهوج يفتك بما يغذّيه ويخدمه . . فالغالب إذن أن يصير المُلْك إلى مكبث .

مكدف : قد أُعلن عن ذلك بالفعل . وقد مضى الآن إلى مدينة سْكُون (١) لتتويجه فيها .

روس : وأين جثمان دانكان ؟

مكدف : حُمل إلى جزيرة كولمكيل (٢) ، ذلك المدفن المقدس لعظام أجداده .

روس : أذاهب أنت إلى سْكُون ؟

---

(١) سْكُون : العاصمة القديمة لاسكتلندا حيث كان يتم تتويج ملوكها .

(٢) كولمكيل : جزيرة صغيرة قرب الساحل الغربى لاسكتلندا كان يدفن فيها ملوكها . واسمها الآن « يون » .

مكدف : لا يا ابن عم ، وإنما أمضى إلى فايْف [٣] .

روس : سأتوجّه إلى هناك .

مكدف : عسى أن ترى الأمور فى نصابها هناك . . وداعا . ذلك أن ما أخشاه ، هو أن يكون رداؤنا القديم أنسب لنا من الجديد الذى ارتديناه .

روس : (للعجوز) وداعًا يا أبتاه .

العجوز : إذهبا على بركة الله . وبارك الله فيمن بوسعهم أن يحيلوا الشرّ إلى خير ، والعدوّ إلى صديق .

(يخرجـون)

---

(٣) فايف : مقاطعة فى اسكتلندا .

الفصل الثالث

الفصل الثالث

المشهد الأول

فوريس ـ غرفة بالقصر

(يدخل بانكو)

بانكو : قد صرتَ سيد جلامْس ، وسيد كودور ، وصرت ملكا وكل ما وعدتك الساحرات به . وفى ظنى أنك قد اقترفت الموبقات من أجل بلوغ ما بلغت . . غير أنهن قلن أيضا إن المُلك لن ينتقل إلى سلالتك ، وقلن إنى أنا الذى سيكون أصلاً وأبًا لملوك عديدين . فإن كن قد صدقن القول (كما صدقت بُشراهن لك يامكبث) فإن النبوءات التى تحققت فى حالتك قد تتحقق فى حالتى مما يثير فى نفسى آمالا عريضة . ولكن صه ! لن أقول أكثر مما قلت .

(صوت بوق ـ يدخل مكبث وقد غدا ملكا ، وليدى مكبث وقد غدت ملكة ، مع لينوكس ، وروس ، وعدد من اللوردات وأفراد الحاشية)

مكبث : ها هو ضيفنا الرئيسى .

ليدى مكبث : لو لم يحضر لغدت ثمة فجوة فى احتفالنا الكبير ، وبدا إغفاله أبعد ما يكون عن اللياقة .

مكبث : (لبانكو) سنقيم الليلة ياسيدى حفل عشاء رسميا أدعوك إلى حضوره .

بانكو : فليطلب مولاى منى ما يطلب وسأجد واجبى منوطا دائمًا بطاعته .

مكبث : أتنوى الخروج بفرسك للتريض ساعة العصر ؟

بانكو : أجل يامولاى .

مكبث : لولا ذلك لطلبنا فى اجتماع اليوم نصائحك التى نجدها دائما حكيمة مفيدة . . غير أننا سنتحادث غدا . . أتنوى المضىّ بعيدا بالفرس ؟

بانكو : مسافة تقطع الوقت يامولاى بين الآن وساعة العشاء . فإن كان حصانى بطيئًا فقد يدركنى الليل فى رحلتى ساعة أو ساعتين .

مكبث : ولكن لا تدع حفل عشائنا يفوتك .

بانكو : لن أدعه يفوتنى يامولاى .

مكبث : سمعنا أن قريبَيْنا المجرمَيْن [1] قد استقرا فى انجلترا وأيرلندا . لم يعترفا بقتلهما البشع لوالدهما ، وهما الآن يحدّثان الناس بأمور غريبة من اختراعهما . . غير أننا سنتحادث غدا فى هذا الشأن ، وفى غيره من شؤون الدولة التى تتطلب تدارسنا حولها . . إمض إذن إلى فرسك ، وإلى اللقاء هذا المساء . . هل سيذهب ابنك فليانس معك ؟

بانكو : أجل يامولاى ، وقد حانت ساعة انصرافنا .

مكبث : آمل أن يكون جواداكما سريعين ثابتى الخطو . فلتمضيا إذن للركوب مع هذه الأمنية . . وداعا .

(يخرج بانكو)

(للأشراف معه) لينعم كل منكم بوقته كما يحلو له حتى السابعة من هذا المساء . وسأقضى الوقت وحدى حتى ساعة العشاء ، كى يكون الاجتماع بكم متعة أكبر . . فحتى ذلك الحين أستودعكم الله .

---

(١) مالكولم ودونالبين .

(تخرج ليدى مكبث مع الأشراف والحاشية)

(لأحد الخدم) أنت ياغلام ، أريد كلمة معك . أينتظر الرجلان الإذن لهما بالدخول ؟

الخادم : هما يامولاى خارج باب القصر .

مكبث : أدخلهما علىّ . (يخرج الخادم) لا قيمة للمُلْك إن لم أكن آمنا فى مُلْكى . . خوفنا من بانكو عميق الجذور . فقوة شخصيته وصفاؤها يستدعيان مثل هذا الخوف . وهو أيضا بالغ الجرأة . ولديه إلى جانب الشجاعة حكمة تتحكّم فى بسالته فتُجنّبه الأخطار . . إننى لا أخشى أحدا سواه . فنجمى هو دائمًا باهت الضوء إلى جوار نجمه ، تماما كما يقال عن نجم مارك أنطونيو إلى جوار نجم أوكتافيوس قيصر . لقد وبّخ الساحرات حين تنبأن لى بأن أصبح ملكا ، ثم طلب منهن التحدث إليه ، فتنبّأن له بأن يكون أبًا لسلالة من الملوك . . وضعن على رأسى تاجا عقيما ، ووضعن فى يدى صولجانا لن تمسّه يد أولادى وإنما ستنتزعه سلالة الآخرين . . لن يخلفنى ابن لى . . فإن كان الأمر كذلك فإنما لوّثت يدى وعقلى لصالح أبناء بانكو وأحفاده ، ولصالحهم قتلت دانكان الطيب ، ومن أجلهم وحدهم أفسدتُ صفو راحتى ، وبعتُ للشيطان عدوّ البشر روحى إلى الأبد ، حتى تغدو سلالة بانكو ملوكًا ! لا . . لن يكون هذا . فتعال أيها القدر وانصرنى فى ساحة القتال حتى النهاية . . . من هناك ؟

(يدخل الخادم ومعه اثنان من القَتَلة)

(للخادم) قف الآن عند الباب وابق هناك حتى نستدعيك .

(يخرج الخادم)

(للقتلة) ألم نتحادث معا يوم أمس ؟

القاتل الأول : أجل يامولاى .

مكبث : فهل فكّرتما فيما قلتُه ؟ إعلما أنه هو الذى كان مسئولا فيما مضى عما أصابكما من شرور ظننتماني ، وأنا البرئ ، مسئولا عنها . . شرحت لكما ذلك خلال لقائنا الأخير ، وأقنعتكما بالبراهين وبيّنت كيف خُدِعْتما وكيف حِيّل بينكما وبين ما كنتما تنتويان ، وذكرت لكما وسائل وهوية المسئول عن كل هذا ، وغير ذلك مما بوسعه أن يقنع أغبى الخلق وأحمق الناس بأن بانكو هو الفاعل .

القاتل الأول : قد أوضحتَ لنا ذلك .

مكبث : أجل ، وأوضحتُ أيضا ما سيكون موضوع لقائنا الثاني . فهل غلب الصبر على طبعكما بحيث تغتفران مثل هذا ؟ هل أثّرت الأناجيل فيكما بحيث صرتما الآن تدعوان لهذا الرجل ولأولاده وهو الذى دفعكما بظلمه إلى حافة القبر وأفقر أولادكما إلى الأبد ؟

القاتل الأول : إنما نحن بشر يامولاى .

مكبث : نعم ، أنتم بشر وفق تصنيف الكائنات ، تماما كما نسمّى الكلاب السَّلُوقية والخِلاسية وكلاب الرِّعاء والهجين والأزديل والسَّبَنْيَلى والدَّلْماسى وأنصاف الذئاب جميعا باسم الكلاب . فأما كُتب العلماء فتميّز بين السريع والبطىء والذكى وحارس الدار وكلب الصيد على ضوء ما حبتْه به الطبيعة السخية من مواهب ، مما يستدعى إطلاق أسماء مختلفة على ما نسميها جميعا بالكلاب . وكذا فى حالة البشر . فإن كانت لكما مكانة فى قائمة البشر ليست فى قعرها فخبّرانى حتى أصارحكما بما أريد تنفيذه من أجل التخلص من عدوّكما ، وتصبحان بعدها موضع حبى ومودّتى . فأنا الآن عليل ما دام حيا ، وسأغدو بموته صحيحا معافى .

القاتل الثانى : فأما عنى يامولاى فامرؤ تلقّى من يد الدنيا أبشع الضربات والمصائب حتى غدوتُ ولا أبالى بما أصنعه حتى أنتقم منها .

القاتل الأول : وكذا الحال معى . فقد سئمتُ الكوارث ومصائب القدر حتى بتّ على استعداد للمخاطرة بحياتى فى سبيل إصلاح أمرها أو التخلص منها .

مكبث : يعلم كلاكما أن بانكو عدوّكما .

القاتلان : نعم يامولاى .

مكبث : وهو عدوّى أنا أيضا . فأما كراهتى المريرة له فتجعل من كل دقيقة يحياها شوكة فى جانبى تؤلمنى . ورغم أنه بوسعى مع ما أملكه من سلطان أن أُريح عينىّ من رؤيته وأطمئن خاطرى على صواب ما فعلت ، فإنه ليس من الحكمة أن أُقدم على ذلك . فثمة أصدقاء معيّنون ، هم أصدقاء له ولى ، لن أخاطر بفقد مودّتهم . ولذا فسأضطر إلى إظهار الجزع على فقدان من قتلته بنفسى . وهذا هو سبب التجائى إلى طلب مساعدتكما : وهو إخفاء حقيقة الأمر عن أعين الكافة لاعتبارات مختلفة قوية .

القاتل الثانى : سننهض يامولاى بما كلّفتنا به .

القاتل الأول : وحتى لو أن حياتنا . . . .

مكبث : عيناكما تفصحان عن شجاعتكما . . سأخبركما خلال هذه الساعة على أكثر تقدير بالمكان الذى ستختبئان فيه ، وبما سيُعلمنى به جواسيسى عن أنسب اللحظات لارتكاب الفعلة . فالتنفيذ ينبغى أن يتم الليلة ، وعلى مسافة من القصر ، واذكرا دائما أنى لا أريد أن تحوم حولى الشبهات . . وحتى تكون الفعلة كاملة غير منقوصة فلتتخلّصا أيضا من ولده فِليانس الذى يرافقه . فقتله ليس بأقل أهمية فى عينى من قتل أبيه ، وليصادف هو أيضًا مصيره فى تلك الساعة الحالكة . . تنحيّا جانبا لتفكرا فى الأمر ، وسألحق بكما لتوّى .

القاتل الثانى : قد استقر عزمنا يامولاى .

مكبث : أدخلا الدار وسأكون معكما بعد لحظات .

(يخرج القاتلان)

قد استقر الأمر إذن . فإن كانت روحك أى بانكو ستصعد إلى السماء، فعليها أن تلتمس الطريق إليها هذا المساء .

(يخــرج)

الفصل الثالث

المشهد الثانى

نفس المكان ـ غرفة أخرى

(تدخل ليدى مكبث يصحبها خادم)

ليدى مكبث : هل غادر بانكو القصر ؟

الخادم : نعم يامولاتى ، ولكنه يعود الليلة .

ليدى مكبث : خبّر الملك أنى ألتمس التحدث إليه .

الخادم : سأفعل ياسيدتى . (يخرج)

ليدى مكبث : بذلنا جهدنا ولم نحقق طائلاً . وبلغنا ما نتمناه دون أن يُسعدنا نيلُه . ولو كنّا فى وضع القتيل الذى قتلناه لكان حالنا خيرًا مما حققته الجريمة لنا من سعادة مشكوك فى أمرها .

(يدخل مكبث)

ما الخبر ياسيدى ؟ مالك تنفرد طيلة الوقت بنفسك فلا يصاحبك فى خلوتك غير أحلك الخواطر ، وهى التى كان ينبغى أن تموت بموت من تفكر فيه ؟ إن الأمور التى لا علاج لها لا ينبغى أن نشغل بالنا بها . وقد مات ما فات .

مكبث : قد أصبنا الأفعى بجراح دون أن نقتلها . وستندمل هذه الجراح وتعود الأفعى كما كانت ، فتظل قوانا الواهنة فى خطر من أنيابها . ولكنى

أفضل أن تنطبق السماء على الأرض وأن يفنى الكون على أن يغشانا الخوف كلما جلسنا إلى طعامنا ، وأن تقض مضاجعنا الأحلام المزعجة التى ترتعد لها فرائصنا كل ليلة . . ولأن نكون مع الموتى الذين قتلناهم لنشغل مكانهم أفضل من أن يظل العقل فى عذابه وقلقه . . دانكان هو الآن فى قبره ، ينام نوما هادئًا بعد حمّى الحياة واضطرابها ، وكانت نتيجة خيانتى له أنه ما عاد بوسع السيف أو السم أو التمرد الداخلى أو الغزو الخارجى أو أى شىء آخر أن يمسّه بسوء .

ليدى مكبث : هوّن عليك أى سيدى الرقيق وأزح عن وجهك تجاعيد الهمّ . . وحاول أن تكون مرحا خالى البال بين ضيوفك الليلة .

مكبث : سأفعل ياحبيبتى ، ورجائى أن تفعلى مثلى ، وأن تخصّى بانكو بالتكريم فتحلّيه مكان الصدارة بها تلقيه عليه من نظرات وإليه من كلمات . إننا فى الفترة الراهنة نفتقر إلى الإحساس بالأمن ، وعلينا أن نغسل عارنا فى مثل هذا السيل من التملق والمداهنة ، بحيث نجعل من وجوهنا أقنعة لقلوبنا حتى لا يدرك القوم ما بها .

ليدى مكبث : كفّ عن مثل هذا التفكير .

مكبث : إن عقلى ، أى زوجتى العزيزة ، ملئ بالعقارب . . أنت تعلمين أن بانكو وابنه فليانس على قيد الحياة .

ليدى مكبث : لن يبقيا كذلك إلى الأبد .

مكبث : غير أن ثمة ما يطمئننى ، فهما لا يزالان فى قبضتى . . أبشرى إذن . فقبل أن يتمّ الخفاش طيرانه فى مبنى الكنيسة ، وقبل أن تستجيب خنفساء الرَّوْث لنداء إلهة السحر السوداء فتشرع فى طنينها الناعس داعية الناس إلى النوم ، ستكون قد أُنجزت فعلةٌ كبيرة رهيبة .

ليدى مكبث : أية فعلة ؟

مكبث : لن أخبرك يابطّتى العزيزة حتى تتم فتصفّقى لها . فاهبط إذن أيها

الليل البهيم ، وأَغمِض عينىْ النهار الرقيقتين بما فيهما من إشفاق ، ثم قدّم يدك الدامية الخفيّة لتمزّق بها إربا حياة ذلك الرجل الذى يزرع الخوف فى قلبى . . . ضوء النهار ينحسر ، والغربان فى طريقها إلى الغابة مأوى الطير فى الليل ، وبنات النهار البريئات قد بدأ النعاس يداعب أعينهن ، فتحين ساعة استيقاظ كائنات الليل الشريرة حتى تفترس ضحاياها . . أراكِ تعجبين من حديثى . ولكن لتهدأ نفسُك وتَقَرّ . فما بدأناه من شرّ يقْوَى بالمزيد من الشرّ . . تعالَىْ معى .

(يخرجـــان)

الفصل الثالث

المشهد الثالث

نفس المكان ـ حديقة يشقّها طريق مؤدّ إلى القصر

(يدخل القتلة الثلاثة)

القاتل الأول : من طلب منك الانضمام إلينا ؟

القاتل الثالث : مكبث :

القاتل الثانى : لا داعى للشك فيه ما دام محيطا بنوايانا ، عالما بكافة تفاصيل ما نعتزم فعله .

القاتل الأول : قف معنا إذن . . لا تزال ثمة بقية من ضوء النهار فى الغرب . . ولاشك فى أن المسافر الذى تأخرت عودته يزيد من سرعته حتى يصل إلى غايته قبل هبوط الليل ، وفى أن من نحن فى انتظاره يقترب الآن من موقعنا .

القاتل الثالث : صَهْ ! أسمع وقع حوافر الخيل .

بانكو : (بالداخل) أهناك من يمكنه تزويدنا بضوء ؟

القاتل الثانى : لابد أنه هو حيث أن سائر المدعوين هم الآن بالقصر .

القاتل الأول : أحصنته تأخذ طريقا جانبيا .

القاتل الثالث : هم الآن على بعد ميل من القلعة . غير أن الوافدين إليها عادة ما يقطعون المسافة من هنا وحتى باب القصر سيرا على الأقدام .

(يدخل بانكو وفليانس ومعهما مشعل)

القاتل الثانى : أُنظروا المشعل ! أُنظروا المشعل !

القاتل الثالث : إنه هو .

القاتل الأول : استعدّوا .

بانكو : (لفليانس) ستمطر السماء الليلة .

القاتل الأول : فلتمطر إذن !

(القاتل الأول يُسقِط المشعل بينما يهاجم الآخران بانكو)

بانكو : إنه الغدر ! لُذ يابنىّ بالفرار . . إهرب ، إهرب ، إهرب ! فقد تتمكن من الأخذ بثأرى . (للقاتل) آه ياعبد الشؤم !

(يموت ، ويلوذ فليانس بالفرار)

القاتل الثالث : من ذا الذى أسقط المشعل ؟

القاتل الأول : ألم نتفق على ذلك ؟

القاتل الثالث : هنا قتيل واحد . وقد هرب ابنه .

القاتل الثانى : قد فاتنا النصف الأهم من مأموريتنا .

القاتل الأول : لننصرف إذن لنقدم تقريرنا عما حدث .

(يخـرجـون)

المشهد الرابع
صالة واسعة فى القصر يتم بها الإعداد لمأدبة

(يدخل مكبث وليدى مكبث وروس ولينوكس وأشراف وأتباع)

مكبث : تعلمون ترتيب أسبقيتكم ، فراعوه فى اختيار مقاعدكم . واعلموا أنكم من بداية الحفل إلى نهايته موضع احتفائى وتكريمى .

الأشراف : شكرا لجلالتك .

مكبث : فأما عنى فسأتنقّل بين الجمع وألعب الدور المتواضع للمضيف . وأما عن مضيفتنا فستلزم مقعدها على رأس المائدة ، غير أننا سنطلب منها فيما بعد المشاركة فى الترحيب بكم .

ليدى مكبث : إنقل عنى ياسيدى إلى كافة أصدقائنا هنا ترحيبى القلبى بهم .

(يدخل القاتل الأول ويقف جانبا عند الباب)

مكبث : (لليدى مكبث) هاهم يجيبونك بالتعبير عن امتنانهم الحار . . (للجمع) العدد متساوٍ على الجانبين ، وسأجلس هنا فى الوسط . إنعموا وامرحوا ، وبعد قليل يطوفون علينا بالكؤوس . (للقاتل) ثمة دم يلطخ وجهك .

القاتل : هو إذن دم بانكو .

مكبث : هو على وجهك خير منه فى عروقه . هل تخلّصتم منه .

القاتل : قطعتُ له عنقه يامولاى .

مكبث : خير الجلّادين أنت . وهو أيضًا جدير بالثناء مَن فعل نفس الشيء بفليانس . فإن كنتَ أنت قاتله فأنت امرؤ لا نظير لك .

القاتل : مولاى الملك ، لقد هرب فليانس .

مكبث : (جانبا) خوفى إذن يعود ، ولولاه لاكتملت سعادتى ، ولكنت قويا كالرخام ، ثابتا كالصخر ، حرّ الحركة كالهواء . أما الآن فأنا حبيس مقيّد مسجون ، تكبّلنى المخاوف والشكوك الكريهة . (للقاتل) غير أنكم أجهزتم على بانكو ؟

القاتل : أجل يامولاى . وهو الآن فى حفرة وبرأسه عشرون طعنة ، واحدة منها كفيلة بقتل أى مخلوق .

مكبث : شكرًا على هذا . . (جانبا) وهناك ترقد الأفعى الكبيرة . أما الصغيرة فقد هربت ، وبمرّ الأيام سيغدو لها أنياب وسُمّ . غير أنها فى الوقت الراهن دون أنياب . . (للقاتل) إنصرف ، وغدا أسمع أنباءك حين نكون على انفراد .

(يخرج القاتل)

ليدى مكبث : سيدى ومولاى ، ما بالك لا تقترح الأنخاب ؟ ما الوليمة إلا كالوجبة العادية مدفوعة الثمن ما لم يُكثر المضيف من ترحيبه بالضيوف وإكرامهم . فإن لم يكن القصد غير الطعام ، فتناوله فى البيت أوفق . أما فى الخارج فإن الترحيب بالضيف هو خير فاتح للشهية ، وبغيره تغدو الوليمة خالية من المعنى . .

مكبث : أحسنتِ بتنبيهك إيّاى . . فلتصحب جودةُ الهضم طِيبَ الشهية ، ولتصحب الإثنين صحةٌ موفورة .

لينوكس : ألا تتفضل يامولاى بالجلوس ؟

مكبث : لو أن بانكو النبيل معنا لاكتمل هنا جمع أشراف بلدنا .

(يدخل شبح بانكو ويجلس فى مقعد مكبث)

وإنى لأفضلّ التطلع إلى توبيخه على ما أبداه من قلة الذوق ، على القلق والخشية من أن يكون قد أصابه شر حال دون قدومه .

روس : ما كان ينبغى أن يعدنا بالحضور لو كان ثمة عذر يمنعه . . شرّفنا يامولاى بالجلوس معنا .

مكبث : ليس ثمة مقعد خال .

لينوكس : هذا مقعد محجوز لك يامولاى .

مكبث : أين ؟

لينوكس : هنا يامولاى . (يرى مكبث الشبح) ماذا أصاب مولاى ؟

مكبث : من منكم فعل هذا ؟

الأشراف : فعل ماذا أيها الملك ؟

مكبث : (للشبح) لا يمكنك أن تتهمنى بارتكابها . ولا آذن لك بأن تهزّ رأسك الدامى فى اتجاهى .

روس : قوموا ياسادة ، فقد أصابت مولانا وعكة .

ليدى مكبث : بل إجلسوا أيها الأصدقاء الكرام . فكثيرًا ما تنتاب مولاى هذه الحالة التى يعرفها منذ شبابه . أرجوكم أن تبقوا فى مقاعدكم . فهى وعكة مؤقتة وسيفيق للتو إلى نفسه . . لو ظللتم ترمقونه بأبصاركم فستغضبونه ويشتد مرضه . كُلوا ولا تنظروا إليه . . (لمكبث) أتسمى نفسك رجلا ؟

مكبث : أجل ، بل ورجل شجاع يجرؤ على النظر إلى ما يخيف الشيطان نفسه أن يراه .

ليدى مكبث : كفاك هراء ! إنه خوفك الذى يصوّر لك ما تراه ، كما صوّر لك فى الهواء الخنجرين اللذين قلت إنهما قاداك إلى دانكان . . وما هذا

الهياج وهذه النوبات من الخوف الزائف غير أمور خليقة بأن ترويها امرأة نقلا عن جدتها ، وتقصّها قرب المدفئة فى فصل الشتاء . . عار عليك ! ما كل هذا التغيّر فى سحنتك وما أمام عينيك فى الواقع غير كرسىّ شاغر ؟

مكبث : (للأشراف) بالله عليكم أن تنظروا . . أنظروا هناك . . أنظروا ! ما قولكم؟ لا بأس . (للشبح) إن كان بوسعك أن تهز رأسك فتكلّم أيضًا . (للأشراف) إن كان على المدافن وقبورنا أن تلفظ الموتى فيها ، فخير لنا أن نُدفن فى بطون الطير .

(يختفى الشبح)

ليدى مكبث : قد سَلَبَتْكَ الحماقةُ إذن رجولتَك ؟

مكبث : رأيته وأنا واقف فى مكانى هذا .

ليدى مكبث : ألا تخجل من نفسك ؟

مكبث : قد سُفكت دماء أناس قبل الآن ، ومنذ أقدم العصور ، قبل أن تُطهّر قوانين البشر الدولة وترقّق المشاعر . بل حتى بعد ذلك قد ارتكبت جرائم تصمّ من هولها الآذان . وكان ثمة زمان متى هُشّم فيه رأس إنسان مات وانتهى الأمر . أما الآن فإنهم يقومون بعد موتهم من جديد حتى لو أصيب الرأس منهم بعشرين جرح مميت ، ويزيحوننا عن مقاعدنا . . أليس هذا أغرب من الجريمة ذاتها ؟

ليدى مكبث : سيدى الجليل ، أصدقاؤك الكرام يفتقدونك .

مكبث : (لليدى مكبث) قد نسيت . (للأشراف) لا تعجبوا لأمرى أيها الأصدقاء الكرام . فبى مرض غريب يعلم المحيطون بى أنه لا خطر منه . هيا ! لنشرب نخب المحبة والصحة للجميع ، ثم أجلس بينكم . ناولونى بعض النبيذ . واملأوا الكأس . سأشرب نخب سعادة كل الجالسين إلى هذه المائدة ، ونخب صديقنا العزيز بانكو الذى نفتقده . . ليته كان معنا .

(يعود الشبح إلى الظهور)

أشرب نخب الجميع ونخبه . وليشرب الجميع نخب الجميع .

الأشراف : لك منا السمع والطاعة ، وسنشرب النخب الذى اقترحته .

مكبث : (للشبح) أُغرب عن وجهى وناظرى ولتبتلعك الأرض ! عظامك لا نُخاع فيها ، ودمك بارد ، وعيناك اللتان تحملق بهما لا تدركان شيئًا .

ليدى مكبث : (للأشراف) لا تظنوا أن ما ترونه أيها اللوردات أمرٌ غير طبيعى . . هو أمر طبيعى لولا أنه أفسد علينا بهجة هذا الحفل .

مكبث : بمقدورى أن أفعل كل ما يجرؤ عليه أى إنسان . تعال إلىّ فى صورة دبّ روسى أشعث ، أو خرتيت سميك الجلد ، أو نمر فارسى ، أو فى أى صورة شئت غير هذه الصورة ، وستجدنى دائمًا ثابت الجأش لا أرتعد . . أو فلتعد إلى الحياة لتدعونى إلى المبارزة بالسيف فى مكان قفر ، فإن رأيتنى أرتعد وأرفض الخروج فلتسمنى طفلة رضيعة . . لتخرج إذن أيها الشبح البشع ! أخرج أيها الوهم الزائف !

(يختفى الشبح)

أجل . وإذ قد مضى فقد عدت رجلا من جديد . . أرجوكم أن تبقوا فى مقاعدكم .

ليدى مكبث : قد أفسدت علينا لهونا وأشعْتَ فى جمعنا فوضى لا حدّ لها .

مكبث : أيمكن أن تحدث مثل هذه الأمور ، وأن تغشانا كما تغشانا سحابة صيف ، دون أن نعجب لها ؟ إنى لأبدو غريبا ، بل وأشك فى نفسى حين أراكم تتطلعون إلى مثل هذه المناظر محتفظين برباطة جأشكم ووجهى شاحب من هولها .

روس : أية مناظر يامولاى ؟

ليدى مكبث : (للأشراف) رجائى ألا تكلّموه . إن حالته تزداد سوءًا وأسئلتكم

تغضبه . طابت ليلتكم ، ولتنصرفوا على الفور ، دون التزام بترتيب أو مراسم . هيا ، على الفور .

لينوكس : طابت ليلتك ، ودعاؤنا للملك بصحة أوفر .

ليدى مكبث : طاب ليلكم أجمعين .

(يخرج الأشراف والأتباع)

مكبث : يريد إراقة الدم . . فالدم كما يقال يريد الدم . كما قيل إن ثمة أحجارا كانت تخفى القتيل تحركت عن موضعها ، وأشجارًا تكلمت الأشباح من جوفها ، وكهانة وعرافة تمكّنتا من مراقبة طيران الغربان من اكتشاف أمر أعتى المجرمين . . . كم مضى من الليل ؟

ليدى مكبث : نحن فى ساعة يتنازع عليها النهار والليل ، كلٌّ يدعيها لنفسه .

مكبث : ما قولك فى رفض مكدف إطاعة أمرنا له بالحضور ؟

ليدى مكبث : هل أرسلت ياسيدى فى طلبه ؟

مكبث : بل سمعتهم يقولون ذلك . غير أنى سأستدعيه . فما من أحد منهم إلا ولى فى داره خادم يراقبه . سأفعل ذلك غدا . كما سأمضى قريبا إلى الساحرات ليحدّثننى بالمزيد . فأنا الآن مصرّ على معرفة أسوأ ما سيحدث لى من أسوأ مصدر ، وقد آن لصالحى الشخصى أن يتقدّم أى اعتبار آخر . لقد قطعت فى بحر الدماء مسافة لو أنى توقفت عندها لبدا التراجع والإقدام وكأنما هما سيّان فى عينى . وفى رأسى الآن أفكار غريبة ستتحول إلى فعال ، وعلىّ أن أنفذها قبل أن يدركها الرجال .

ليدى مكبث : إنما ينقصك ذاك الذى يجلب الراحة للجميع ، وهو النوم .

مكبث : هيا إذن إلى النوم . . ما أوهامى الغريبة إلا وليدة خوف المبتدئين المفتقرين إلى الخبرة . وما نحن الآن إلا فى بداية الطريق .

(يخـرجـان)

الفصل الثالث

المشهد الخامس [1]

أحد المروج

(صوت رعد ـ تدخل الساحرات الثلاث فيقابلن هيكاتى إلهة السحر)

الساحرة الأولى : ما الخبر ياهيكاتى ، ما الذى أغضبك ؟

هيكاتى : أما تعرفن ما أغضبنى أيتها الشمطاوات؟ أيتها الجريئات الوقحات؟ كيف تجرؤن على التعامل مع مكبث بالألغاز وفى شؤون الموت ، ولا تطلبن منى ، وأنا مصدر قدراتكم السحرية والمدبرة السرّية لكافة الشرور ، أن ألعب فى هذا الشأن دورى ، فأبرهن على روعة فننا وإمكاناته ؟ والأبشع من ذلك أن كل ما صنعتن هو من أجل طفل مدلل جاحد سريع الغضب ، ولاؤه ـ شأن الآخرين ـ هو لصالحه الذاتى لا لكنّ . . كفّرن إذن عن ذنبكن . . إذ هبن وقابلننى فى الصباح عند كهف الساحرات . فهو ينوى القدوم إلى هناك كى يعرف قدره . . أحضرن قدوركن وتعاويذكن وطلاسمكن وكل ما قد نحتاج إليه . أما عنى فسأطير فى الهواء ، وأقضى هذه الليلة فى الإعداد لنهاية زريّة رهيبة . . علىّ أن أؤدى هذه المهمة الخطيرة قبل الظهر . . ثمة على طرف القمر قطرة ماء تكوّنت من بخار ، لها مواصفات سحرية قوية . سأتلقّفها قبل أن تصل إلى الأرض ، ثم

---

(١) يكاد يجمع النقاد على أن هذا المنظر ليس من تأليف شكسبير . وغالبا ما تغفله الفرق المسرحية .

أُقَطِّرُها بفنى السحرى ، وأُطلق منها أرواحا من صنعى ، تضلّله وتقوده إلى حتفه . . سيهزأ بالقدر ويسخر من الموت ، وستجعله مطامحه يهجر الحكمة فلا يعبأ برضا الرب أو بمقتضيات الحذر . ولاشك أنكن تعلمن جيدًا أن الإفراط فى الشعور بالأمان ، هو العدو الأكبر للإنسان .

(أغنية بالداخل « هيا . . هيا » ، إلى آخره)

صه ! تابعتى الصغيرة تناديني . . أنظرن ! هاهى جالسة فى انتظارى فى سحابة من ضباب .

(تخـرج)

الساحرة الأولى : هيا فلنسرع ، فهى ستعود عما قليل .

الفصل الثالث

المشهد السادس

مكان ما فى سكوتلندا

(يدخل لينوكس مع أحد النبلاء)

لينوكس : ما قلتُه لك مؤخرا لم يزد على أن عبّر عما يدور بالفعل فى خاطرك ، ويمكنك بنفسك أن تستنتج الباقى . . كل ما بوسعى قوله هو أن الأمور جرت مجرى غريبا . فها هو مكبث يظهر محبته لدانكان . . طبعا ، بعد أن مات . أما بانكو الهمام فقد تأخّر فى العودة ، وبوسعك أن تقول إن شئت إن ابنه فليانس هو الذى قتله حيث أنه فرّ بعد ذلك . والعبرة من كل هذا هو أنه لا ينبغى لأحد أن يتأخر فى العودة . . ثم من ذا الذى لا يراها جريمة بشعة أن يقتل مالكولم ودونالبين أباهما الكريم ؟ جريمة شنعاء أزعجت مكبث أشد الإزعاج فاندفع من فوره غاضبا وقتل الحارسين المجرمين اللذين كانا وقتها نائمين مخمورين . ألا ترى فى فعلته هذا انتقاما رائعًا ؟ أجل ، وحكيما أيضًا . إذ من ذا الذى لن يُغضبه أن يسمع أناسا ينكرون أن الحارسين هما اللذين قتلاه ؟ ولهذا أقول إن مكبث قد أحسن تدبير كافة الأمور . وأقول كذلك إنه لو كان ولدا دانكان فى قبضته (ولن يكونا فى قبضته بإذن الله) لنالا جزاءهما على قتلهما لأبيهما . . وكذلك فليانس . . ولكن خبّرنى : لقد علمتُ أن مكدف مغضوب عليه بسبب صراحته فى القول ولأنه لم يحضر حفل الطاغية . . فهل تعرف ياسيدى مكان إقامته الآن ؟

النبيل : أما عن ابن دانكان الذى حرمه هذا الطاغية من حقه فى المُلْك ، فيعيش فى البلاط الإنجليزى ، ويحظى من الملك إدوارد التقىّ بكل تكريم وحفاوة واحترام لا ينتقص منها بؤس وضعه . وقد مضى مكدف إلى هناك كى يلتمس من الملك القديس مساعدته على إقناع نورثمبرلاند وسيوارد الشجاع فيعاونانا ببركة الله ورضاه ويعيدا إلى موائدنا الطعام ، وإلى جفوننا نوم الليل ، ويحفظا احتفالاتنا ومآدبنا من خناجر الغدر الدموية ، ويتيحا لنا فرصة تقديم الطاعة والولاء لملوكنا الشرعيين ، وأن نتلقى منهم التكريم الذى يستحقه أحرار الرجال . وقد أزعجت هذه الأنباء مكبث ، فهو الآن يستعد للحرب .

لينوكس : هل بعث فى طلب مكدف ؟

النبيل : أجل . فما كان من مكدف إلا أن أجابه : « كلا وألف كلا » فإذا بوجه الرسول وقد تجهم ، ثم أدار له ظهره وكأنما يقول له : « لَتندمنّ على تحميلى مسئولية إبلاغ هذا الردّ » .

لينوكس : وسيكفى هذا لتحذير مكدف وتنبيهه إلى ضرورة الابتعاد عنه قدر الإمكان . . فليهرع رسول كريم إلى بلاط انجلترا ليبلغ عنه رسالته قبل وصوله ، حتى يرسلوا نجدة سريعة إلى بلدنا المعذَّب هذا الذى يعانى من حكم ذلك اللعين .

النبيل : وسترافقه دعواتى له بالتوفيق .

(يخرجان)

الفصـــل الرابــع

الفصل الرابع

المشهـد الأول
كهف مظلم ، فى وسطه قِدْر تغلى

(صوت رعد ـ تدخل الساحرات الثلاث)

الساحرة الأولى : سمعتُ مواء القطة المقلَّمة ثلاث مرات .

الساحرة الثانية : وسمعتُ عويل القنفذ ثلاث مرات ومرّة .

الساحرة الثالثة : وسمعت المرأة المجنَّحة تصيح أن الوقت قد حان .

الساحرة الأولى : فلْندر حول القدر ، ونلقى فى جوفها المسموم ما عندنا : ضفدع طين قضى فى النوم واحدًا وثلاثين يوما بلياليها تحت حجارة باردة ، وخرج منه السمُّ عرقا . ليكن أول ما نغليه فى القدر المسحورة .

الجميع : ضاعفن العمل ، ضاعفن الجهود
ولْتَـفُـر قِـدْرُنـا ، فـوق الوقـود

الساحرة الثانية : وفى القدر نسلق ونخبز شريحة من لحم ثعبان الطين ، مع عين لسمنْدل الماء ، وإصبع ضفدع ، وصوف وطواط ، ولسان كلب ، ولسان حية مشقوق ، وإبرة العظاية العمياء ، ورجل سحلية ، وجناح بومة صغيرة . فتلك تعويذة قوية التأثير ، نغليها غليان حساء الشيطان فى الجحيم .

الجميع : ضاعفن العمل ، ضاعفن الجهود
ولْتَـفُــر قِــدْرُنـا ، فــوق الوقـود

الساحرة الثالثة : حراشف تنيّن ، وناب ذئب ، ومسحوق مومياء ، ومعدة حيوان تغذّت على لحم البشر ، وسمكة قرش من البحر المالح ، وجذر نبات الشَّوْكَران المسموم نستخرجه من التربة ليلا ، وكبد يهودى كافر، ومرارة الماعز ، ونشابة من خشب الطَّقْسوس تُنزع من الشجر عند خسوف القمر ، وأنف تركىّ ، وشفاه تترىّ ، وإصبع طفل خُنق فى مهده ، ولدته أمه العاهرة فى خندق . . ولتجعلن الحساء ثخينا لزجا ، وتضفن إليه معدة نمر ، فتكتمل مقوّمات القِدْر .

الجميع : ضاعفن العمل ، ضاعفن الجهود
ولْتَـفُــر قِــدْرُنـا ، فــوق الوقـود

الساحرة الثانية : ثم نبرّدها بدم قرد ، فتغدو التعويذة قوية جيدة .

(تدخل هيكاتى)

هيكاتى : حسنا فعلتن ! وسعيكن مشكور. وستشارك كل منكن فى الغنيمة . فلتدرن الآن حول القدر فى حلقة وتغنّين كالجنّيات ، فتسحرن كل ما وضعتنّه فيها .

(موسيقى مع أغنية « الأرواح السوداء » ، إلى آخره)

الساحرة الثانية : إبهامىّ فى الكفّين تؤلمانى ، مما يعنى أن ثمة شرّا فى طريقه إلينا (قرع على الباب) فلتتفتّح الأقفال أيا كان الطارق .

(يدخل مكبث)

مكبث : مـاذا تفعـلن ياشمطـاوات منتصـف الليـل ، أيتهـا السوداوات الغامضات؟

الجميع : فِعلة لا إسم لها .

مكبث : أناشدكن أن تجبننى ، بحق ما تمارِسْن من سحر أيا كان سبيلكن إليه . أَجِبْن على ما أسألكن عنه ، حتى لو اضطررتن من أجل ذلك إلى إطلاق الرياح من عقالها فتعصف بالكنائس ، وإثارة الأمواج المزبدة فتعصف بالسفن وتغرقها ، وإتلاف القمح قبل أن تظهر سنابله ، وقصف الأشجار وهدم القلاع على رءوس حراسها ، وخسف القصور والأهرامات حتى يلحق عاليها بسافلها ، وردم ينابيع الحياة كافة حتى يسأم شيطان الهدم نفسه من الهدم .

الساحرة الأولى : تكلم .

الساحرة الثانية : إسأل .

الساحرة الثالثة : وسنجيب .

الساحرة الأولى : وخبّرنا ما إذا كنت تفضل سماعها منا أم من أسيادنا .

مكبث : أُدعوهم . أريد رؤيتهم .

الساحرة الأولى : لنسكب دم خنزيرة أكلت أطفالها التسعة ، ونلقى فى النار بما أفرزته مشنقة القاتل من دهن .

الجميع : تـ.ـالوا جميعا ، كباركم وصغاركم . أظهروا أنفسكم ومهاراتكم .

(صوت رعد ـ يظهر الشبح الأول : رأس عليها خوذة)

مكبث : خبّرينى أيتها القوة المجهولة .

الساحرة الأولى : هو يعلم ما يدور فى رأسك من أفكار . إستمع إلى حديثه دون أن تنطق بكلمة .

الشبح الأول : مكبث ! مكبث ! مكبث ! إحذر من مكدف !

إحذر من سيد فايف ! إصرِفْنى الآن ، فقد قلت ما فيه الكفاية .

(تختفى فى الأرض)

مكبث : أيًا كنتَ فإنى شاكر لك تحذيرك . . لقد صدق تخمينك لما أخشاه . ولكن ، كلمة أخرى ، أرجوك .

الساحرة الأولى : لن تطيع أمرًا . . هذا شبح آخر أقوى من الأول .

(صوت رعد ـ شبح ثان : طفل مدرّج بالدماء)

الشبح الثانى : مكبث ! مكبث ! مكبث !

مكبث : لو كانت لى ثلاث آذان لسمعتك .

الشبح الثانى : لا تخش من سفك الدماء ، وكن جريئا حازما . واسخر من قوة أى إنسان . فما بمقدور من ولدتْه امرأة أن يمسّ مكبث بسوء .

(يختفى فى الأرض)

مكبث : فلتظل على قيد الحياة إذن يا مكدف . إذ ما الذى عساى أن أخشاه منك ؟ غير أنى سأضاعف ضمانات أمنى فأبرم صفقة مع القدر . لن تعيش إذن . وسيكذّب موتُك مخاوفى ، فأنام بالرغم من صوت الرعد .

(صوت رعد ـ شبح ثالث : طفل متوّج ، فى يده شجرة)

ما هذا الذى يظهر لى فى صورة ابن ملك ، ويلبس على رأسه الصغير رمز المُلك المستدير .

الجميع : استمع منه ولا تكلّمه .

الشبح الثالث : كن شجاعا كالأسد ، فخورا ، ولا تعبأ بمن ضايقك أو أزعجك ، ولا تَسَلْ عن مكان المتآمرين . ذلك أن مكبث لن يعرف الهزيمة حتى تنتقل غابة بيرنام الكبيرة إلى تلّ دانسينين لتحاربه (١).

---

(١) تقع غابة بيرنام وتل دانسينين بالقرب من مدينة بيرث بسكتلندا ، ويفصل بين الغابة والتل نحو عشرين كيلو متر .

(يختفى فى الأرض)

مكبث : وهذا ما لن يحدث أبدًا . إذ من ذا الذى بوسعه أن يجنّد الغابة فى جيشه ، وأن يطلب من الشجرة أن تنزع من الأرض جذورها ؟ ما أجملها من نبوءات ! حسنا ! فلا تهبّوا أيها الموتى المتمردون من قبوركم حتى تهب غابةُ بيرنام من أرضها . وسيعيش الملك مكبث حتى نهاية أجله الطبيعى ، فيموت حتف أنفه . . غير أن قلبى يتلهف على معرفة شىء واحد فحسب : فخبّرنى - إن كان ذلك باستطاعتك - عما إذا كانت سلالة بانكو ستحكم دولتنا يوما ما .

الجميع : لا تحاول معرفة المزيد .

مكبث : بل لابد أن أعرف . فإن أبيتم فسأدعو عليكم بلعنة أبدية ! خبّرونى . . . آه ! ما للقدر تفيض بما فيها ؟ وأى صوت هذا ؟

(صوت موسيقى)

الساحرة الأولى : العرض !

الساحرة الثانية : العرض !

الساحرة الثالثة : العرض !

الجميع : إظهروا لعينيه واملأوا قلبه بالأتراح . تعالوا كالأشباح ثم انصرفوا كأشباح .

(عرض يشترك فيه ثمانية ملوك ، آخرهم يحمل مرآة فى يده ، ويتبعهم جميعا شبح بانكو)

مكبث : (للملك الأول فى العرض) إنك لشديد الشبه بشبح بانكو . . إخسأ! بريق تاجك يحرق حَدَقَتَىْ عينى ! (للملك الثانى) وأنت أيضا تلبس تاجا ذهبيا كتاج الأول . . (للساحرات) والثالث كالأول والثانى . . أيتها الشمطاوات القذرات ! لماذا تعرِضْنَ هذا علىّ ؟ ورابع ؟ فلتفقأوا لى عيناى ! ما هذا ؟ أسيمتد فرعهم إلى يوم

الحشر؟ وسادس وسابع ؟ سأكف عن النظر . . وهذا ثامن يحمل مرآة تُظهر لى المزيد منهم . بعضهم أراه يحمل كرة المُلْك مزدوجة [1] ، والبعض ثلاثة صولجانات [2] . . ما أبشع المنظر ! الآن بتّ أدرك أن النبوءة صحيحة . فهذا بانكو وقد جفّت الدماء على شعر رأسه يبتسم لى وهو يشير إليهم باعتبارهم سلالته . . أليس هذا صحيحا ؟

الساحرة الأولى : أجل ياسيدى كل هذا صحيح . ولكن لماذا أراك مضطربا هكذا ؟ هيا يا أَخَواتى نفرّج عنه كربه ، وندخل السرور على قلبه . سأجعل الهواء يصدح بالموسيقى ، ولتؤدّين أمامه رقصاتكن الغريبة ، حتى يتكرّم هذا الملك العظيم فيقول إننا أحسنّا أداء واجب الترحيب به .

(موسيقى ـ الساحرات يرقصن ثم يختفين مع هيكاتى)

مكبث : أين هن ؟ وَلَّيْن ؟ لتكن ساعة النحس هذه ملعونة دوما فى تقويم الزمن ! أنت أيها الواقف هناك ، أُدخل !

(يدخل لينوكس)

لينوكس : أمرك يامولاى .

مكبث : أرأيت الساحرات ؟

لينوكس : لا يامولاى .

مكبث : ألم يمرّ طريقُهن بك ؟

لينوكس : أبدا ياسيدى .

---

(١) الملوك الذين يحملون الكرة المزدوجة هم الذين سيحكمون سكوتلندا وانجلترا معا ، بدءًا بالملك جيمس الأول الذى كُتبت مسرحية « مكبث » فى عهده .

(٢) ربما تشير الصولجانات الثلاثة إلى انجلترا وسكوتلندا وأيرلندا .

مكبث : ملعونة الريح التى تحملْنهن . وملعون كل من وثق فيهن ! . . لقد سمعتُ صوت أحصنة تركض . من الذى قدم ؟

لينوكس : إثنان أو ثلاثة نفر يامولاى يحملون إليك نبأ فرار مكدف إلى إنجلترا.

مكبث : فراره إلى انجلترا ؟

لينوكس : أجل يامولاى .

مكبث : (جانبا) قد أحبط الزمنُ نواياى الرهيبة إزاءه . والطريق الأوحد لضمان تحقيق النوايا هو التنفيذ فور مخامرة الفكرة للعقل . فمن الآن فصاعدا ستقوم يدى بتنفيذ نواياى فور مراودتها لذهنى . بل والآن أيضا . سأتوّج أفكارى بالأفعال . . أفكر وأنفّذ على التو. . سأفاجئ قلعة مكدف بالهجوم ، وأستولى على فايف ، وأقتل بالسيف زوجته وأطفاله وكل المساكين من نسله . . أنا لا أَتَبَجَّحُ بالكلام كما يفعل الأحمق . فخطتى سأنفّذها قبل أن تبرد الفكرة . وكفاى رؤية أشباح ! (للينوكس) أين هؤلاء السادة ؟ هيّا ، قُدنى إلى حيث ينتظرون .

(يخرجـان)

المشهد الثانى
فايف - قلعة مكدف

(تدخل ليدى مكدف ، وابنها ، وروس)

ليدى مكدف : ما الذى ارتكبه حتى يضطر إلى الفرار من بلده ؟

روس : تذرعى بالصبر ياسيدتى .

ليدى مكدف : صبرٌ لم يعرفه . . لقد كان فراره عين الحماقة . فحين تكون فعالنا بريئة من الخيانة ، تأتى مخاوفنا فتثير الشك فى خيانتنا .

روس : أنت لا تدرين ما إذا كانت حكمته أم خشيته التى دفعته إلى ذلك .

ليدى مكدف : حكمته ؟! أن يترك زوجته ، أن يترك أولاده وداره وممتلكاته فى موضع ويهرب إلى موضع آخر ؟ إنه لا يحبنا . هو مفتقر إلى المشاعر الإنسانية . فطائر الصَّعْو المسكين ، وهو أصغر الطيور حجما ، يقاتل البومة دفاعًا عن صغاره فى العُش . الخوف هو كل ما يعنيه ، والحب عنده لا يعنى شيئًا . وما للحكمة وجود إن كانت تخالف كل منطق .

روس : أرجوك يا ابنة العم أن تصبرى وتتفهمى الوضع . فزوجك نبيل حكيم عاقل ، ويدرك جيدا متاعب الزمن الذى نعيش فيه . . لا أجرؤ على قول أكثر من ذلك . فالزمن عصيب ذلك الذى نُتَّهم فيه

بالخيانة دون أن ندرى أننا خونة ؛ والذى يدفعنا الخوف فيه إلى تصديق الشائعات التى نسمعها دون أن ندرى من أى شيء نخاف ، والذى نتأرجح فيه على أمواج الخوف العاتية إلى الأمام وإلى الخلف دون أن نصل إلى هدف . . أستأذنك فى الانصراف . لن أغيب طويلاً وسأزورك مرة أخرى . . إن الأمور إذا وصلت إلى أقصى درجة من السوء إما أن تتوقف أو تعود فتنصلح . . (لابنها) بارك الله فيك يا ابن عمى الوسيم .

ليدى مكدف : أبوه حىّ وهو مع ذلك يتيم .

روس : سأسرع بالإنصراف حتى لا تدفعنى الحماقة إلى البكاء فيُشيننى ذلك ويزعجك . . سأنصرف على الفور .

(يخــرج)

ليدى مكدف : (لابنها) أبوك قد مات يابنىّ . فما عساك تصنع الآن ؟ وكيف ستعيش ؟

الإبن : كما يعيش الطير يا أماه .

ليدى مكدف : وتتغذّى على الحشرات والذباب ؟

الإبن : أتغذّى على ما أجده كما يتغذى الطير على ما يجد .

ليدى مكدف : أيها الطائر المسكين . ألن تخاف الشباك والمصائد والحبائل والأفخاخ؟

الإبن : ولم أخافها ياأماه ؟ المصائد لا تُنصب للطيور المسكينة . وأبى لم يمت رغم كل ما تقولين .

ليدى مكدف : بلى قدمات . . فكيف ستحيا إذن دون أب ؟

الإبن : وكيف ستحيين أنت دون زوج ؟

ليدى مكدف : بوسعى أن أشترى عشرين زوجا من السوق .

الإبن : تشتريهم إذن لتبيعيهم مرة أخرى .

ليدى مكدف : إجابتك على قدر عقلك ، غير أن عقلك على قدر سنّك .

الإبن : أكان أبى خائنًا يا أماه ؟

ليدى مكدف : أجل ، كان خائنا .

الإبن : وما الخائن ؟

ليدى مكدف : من يُقسم ثم يحنث .

الإبن : وكل من يفعل ذلك فهو خائن ؟

ليدى مكدف : كل من يفعل ذلك خائن ينبغى شنقه .

الإبن : كل من يقسم ويحنث ينبغى شنقه ؟

ليدى مكدف : كلهم .

الإبن : ومن يشنقهم ؟

ليدى مكدف : الرجال الأمناء .

الإبن : فهم حمقى إذن أولئك الذين يقسمون ويحنثون . فالدنيا مليئة بالكاذبين والخائنين ، وبمقدورهم أن يغلبوا الأمناء ويشنقوهم .

ليدى مكدف : أعاننى الله عليك أيها القرد الصغير ! ولكن قل لى : كيف ستحيا دون أب ؟

الإبن : لو كان قد مات لبكيت عليه . وإذ لا تبكينه فهى علامة طيبة على أنه سيكون لى قريبا أب جديدًا .

ليدى مكدف : آه من كلامك أيها الثرثار المسكين !

(يدخل رسول)

الرسول : طاب يومك أى سيدتى النبيلة . . أنت لا تعرفيننى ، غير أنى على

علم بمقامك الرفيع . وثمة ما يجعلنى أعتقد أنك قد تتعرّضين لخطر وشيك . فإن أنت أخذت بنصيحة رجل بسيط ، فاتركى هذا المكان وفرّى بصغارك . . قد أبدو قاسيا إذ أزعجك بحديثى هذا . أما الإساءة إليك على نحو أبشع من إزعاجى لك فهى القسوة الشنعاء التى هى الآن فى طريقها إليك . . حماك الله وأبقاك . . لا أجرؤ على البقاء أطول مما بقيت .

(يخـــرج)

ليدى مكدف : إلى أين أهرب ؟ إننى لم أرتكب جرما . غير أنى أتذكر الآن أنى فى هذه الأرض التى كثيرا ما يُحمد فيها فاعل الشر ، ويُلام فاعل الخير على حماقته . وأأسفاه ! لماذا إذن أتذرع بهذه الحجة النسوية فأقول إنى لم أرتكب جرما ؟

(يدخل القتلة)

ما هذه الوجوه ؟

القاتل الأول : أين زوجك ؟

ليدى مكدف : آمل أن يكون فى مكان طاهر لا يتواجد فيه أمثالكم فيعثروا عليه .

القاتل الأول : إنه خائن .

الإبن : أنت تكذب أيها الوغد ذو الأذنين المشعرتين .

القاتل : ماذا تقول أيتها البيضة ؟ (يطعنه) بيضة صغيرة باضتها الخيانة !

الإبن : لقد قتلتنى يا أماه ! إهربى ، أرجوك ! (يموت)

(تخرج ليدى مكدف وهى تصيح « مجرمون ! مجرمون ! » ويعدو القتلة فى إثرها)

المشهد الثالث
انجلترا ـ أمام قصر الملك إدوارد

(يدخل مالكولم ومكدف)

مالكولم : دعنا نبحث عن مكان هادئ ظليل ، نبكى فيه حتى نُفرغ ما فى صدورنا من هموم .

مكدف : بل الأحرى أن نشهر سيوفنا الصقيلة ونسير بها سير الفاتحين إلى بلدنا المستذل . . لقد بات كل صباح يسمع صياح أرامل جدد ، وعويل يتامى جدد ، ويشهد أحزانا مستجدة تلطم وجه السماء فتردّد صدى اللطمات وكأنها تتعاطف مع سكوتلندا ، وتصدر صيحات لوعة مماثلة .

مالكولم : لن أندب غير ما يثبت لى صدقه ، ولن أصدّق غير ما أعرفه . وسأنتظر الوقت المناسب حتى أصلح ما بوسعى إصلاحه . أما بشأن ما قلتَه فقد يكون صحيحا . ربما . فهذا الطاغية الذى يكفى ذكرُ اسمه لإيذاء ألسنتنا ، كان الناس فى وقت ما يحسبونه رجلاً نظيفًا . وقد كنت أنت من محبّيه . كما أنه لم يمسّك حتى الآن . . إننى صغير السن . وقد ترى لنفسك منفعة تجنيها منه من خلالى ، فترى من الحكمة أن تضحى بحَمَل ضعيف مسكين برئ لإرضاء ذلك الإله الغاضب مكبث .

مكدف : أنا لستُ بالخائن .

مالكولم : ولكن مكبث خائن . وقد يُذعِنُ الرجل الطيب الفاضل لإرادة من فى يده

المُلك . . غير أنى أستميحك العذر . فشكّى فيك لا يمكنه أن يغيّر من طبيعتك إن كانت نقية ، ولا يزال ثمة ملائكة فى السماء رغم سقطة أحدهم . ولايمكننى أن أقول إن مظهرك البرئ دليل على خيانتك ، فالبراءة ينبغى أن تحتفظ بمظهر البراءة حتى لو حرص الأوغاد على الظهور به .

مكدف : قد تبخّرت كل آمالى .

مالكولم : ولربما كان منشأ الشك عندى أنك خلّفت زوجتك وأبناءك دون حماية ، ودون توديعهم ، وهم الأعزاء الذين تربطك بهم أوثق صلات الحب . . أرجوك ألا ترى فى شكوكى ما يشينك . فإنما أحمى ذاتى بالتعبير عنها . وقد تكون رغم أى رأى لى فيك إنسانا فاضلا .

مكدف : لتنزِفْ دما إذن أى بلدى المسكين ! وليمدّ الطغيان جذوره مطمئنا إلى أن قوى الخير لن تجرؤ على التصدّى له ، وليُظهِر شروره بعد أن أضحى ذلك من حقه ! وداعا ياسيدى . ما كنتُ لأصبح الوغد الذى تظننى إياه ولو أُعطيتُ مُلْك ذلك الطاغية مع كل ثروات الشرق .

مالكولم : لا تغضب . فما حديثى بالناجم عن خوف حقيقى منك . إنى لأحسب أن بلادنا ترزح تحت نير الرجل ، وتنتحب وتدمى . وكل يوم جديد فى جعبته جرح آخر يضيفه إلى ما فيها من جراح . كما أحسب أن ثمة أناسا على استعداد لأن يناصروا حقى فى العرش . وقد عرضتْ علىّ انجلترا الكريمة أن تمدّنى بآلاف الرجال . ومع ذلك ، فإنى حين أطأ بقدمى رأس الطاغية أو أرفعها على سيفى ، فستعرف بلادى المسكينة من الشرور أكثر مما عرفته فى الماضى ، وستتعذّب عذابا أكبر وترى ممن سيخلف الطاغية صنوفا شتى من الويلات .

مكدف : عمّن تتحدّث ؟

مالكولم : عن نفسى . فأنا أعلم فى نفسى من صنوف الشر ما لو تكشّفتْ لبدا مكبث الأسود ناصع البياض كالثلج ، ولاعتبرته دولتنا المسكينة حَمَلا وديعا بالمقارنة بما فىّ من شرور لا حدّ لها .

مكدف : ما فى طبقات الشياطين بجهنم شيطان يفوق فى الشر مكبث .

مالكولم : أعلم أنه سفاك للدماء ، شهوانىٌّ بخيلٌ زائف ختال متعجل حقود ، وبه كل خطيئة بوسعك أن تسميها . . ومع ذلك فلتعلم أن شهواتى الشريرة لا حدود لها ولا قاع . وما بمقدور زوجاتكم وبناتكم وأمهاتكم وخادماتكم أن يملأن بئر شهوتى التى ستعصف بكل ما يعوقها ويقف فى سبيلها . . فخير لكم أن يحكمكم مكبث من أن أحلّ مكانه .

مكدف : إطلاق العنان للشهوة هو فى الحياة طغيان ، وكثيرا ما أدّى إلى ثل العروش السعيدة وسقوط الملوك . . ومع ذلك فلا بأس عليك من أن تأخذ حقك من المتعة ، وأن تنهمك فى الملذات سرا مع ظهورك بمظهر العفيف فتخدع به القوم . . ثم إن ثمة عددًا كبيرًا من النساء ممن سيكن على استعداد للاستسلام طواعية لك ، ولن تكون شهوتك قادرة على التهام كل من سيغريهن منصبك الرفيع بعرض أنفسهن عليك متى رأين ولعك باللذة .

مالكولم : بالإضافة إلى ذلك أجد من طباعى المؤسفة شهوة عارمة إلى المال ، حتى إذا ما صرتُ ملكا قضيتُ على النبلاء حتى أستولى على أراضيهم ، ناهبا مجوهرات هذا ودار ذاك ، ويضحى نموّ ثرائى بمثابة فاتح للشهية يزيد من جوعى وشرهى ، فأدخل فى نزاعات ظالمة مع الصلحاء المخلصين ، وأدمرهم تدميرا من أجل اقتناء المزيد .

مكدف : جذور هذه الرذيلة أعمق وأخطر وأطول عمرا من الشهوة المرتبطة بربيع العمر . فهى التى قتلت الكثير من ملوكنا . ومع ذلك فلا بأس عليك منها . فثروات سكوتلندا طائلة بوسعها أن تملأ خزائنك . . وكلها على أية حال رذائل يمكن احتمالها إن قورنت بمزاياك .

مالكولم : ما من مزايا فىّ . فالمزايا التى تليق بالملوك ، وهى العدالة والصدق والاعتدال والثبات والكرم والمثابرة والرحمة والتواضع والتقوى والصبر والشجاعة وقوة الاحتمال ، صفات لا أحبها . وإنها أعشق تنوّع الجريمة

وتجربة صنوفها . بل إنى إن توليت المُلْك فسأريق فى الجحيم أمن الدولة وهدوءها ، وأشيع فى الأرض الفوضى والدمار .

مكدف : واأسفاه عليك ياسكوتلندا !

مالكولم : فإن كان مثلى يصلح لأن يحكم فتكلّم . فأنا على ما ذكرت .

مكدف : يصلح لأن يحكم ؟! بل لا يصلح لأن يعيش ! ما أبأسكِ يابلادى ! يحكمك طاغية لاحق له فى الحكم ، دامى الصولجان ، فمتى ترين من جديد أياما سعيدة ، وهذا السليل الشرعى لملوكك يقرّ على نفسه بالفساد ويُلحق العار بآبائه ؟ لقد كان أبوك الملك قديسا طاهرا . والملكة التى أنجبتك كانت تقضى من الوقت على ركبتيها أطول مما تقضيه على قدميها ، وكأن كل يوم هوآخر يوم تحياه . . وداعا إذن . فهذه الرذائل التى نسبتها إلى نفسك تجعلنى أقرر ألا أعود إلى سكوتلندا . . واقلباه ! قد لقيت آمالك هنا نهايتها !

مالكولم : مكدف ! هذه العاطفة النبيلة التى ولّدتها سلامة طويتك قد محت من صدرى شكوكى السوداء ، وأقنعتْنى بصدقك وشرفك . لقد سعى الشيطان مكبث بالكثير من مثل هذه الحيل إلى أن يوقعنى فى شراكه ، مما دفع حكمتى المتواضعة إلى الحيلولة بينى وبين التسرع فى تصديق الناس . . فليرعَ الله العلاقة فيما بيننا . وها أنا الآن أضع نفسى طوعا لتوجيهك ، وأتراجع عما وصفْتُ به نفسى الساعة من نقائص وآثام لا تعرفها أخلاقى . فاعلم أنى لم أعاشر امرأة قط ، ولا حنثتُ يوما فى يمينى ، ولا اشتهيتُ حتى ما أملكه ، ولا أخلفتُ وعدا قطعته على نفسى ، ولا أنا على استعداد لأن أغدر حتى بالشيطان نفسه ، ولا عشقى للحياة بأقوى من عشقى للحق ، وما كذبتُ إلا حين شهّرتُ بذاتى . فأما حقيقتى فطوع يدك ويد وطنى المسكين . . وقد كان سيوارد الأب قبل وصولك قد جمع بالفعل عشرة آلاف محارب ، هم على أهبة الاستعداد للسير إلى بلادنا . سنمضى إذن معا . وليكلّل الله مسعانا بالنجاح فى سبيل قضيتنا العادلة . . ما هذا الصمت منك ؟

مكدف : يصعب علىّ التوفيق بين ما سمعته الساعة من مُرّ الكلام وحُلوه .

(يدخل طبيب)

مالولم : نواصل حديثنا فيما بعد . (للطبيب) أيخرج الملك الآن ؟

الطبيب : نعم ياسيدى . فثمة جماعة من البؤساء ينتظرون أن يشفيهم من مرضهم الذى استعصى علاجه على أمهر الأطباء ، والذى يزول عنهم فور أن تمسّهم يده التى باركتها السماء [1].

مالكولم : شكرا أيها الطبيب . (يخرج الطبيب)

مكدف : أىّ مرض ذلك الذى يعنيه ؟

مالكولم : يسمونه بداء الشر . وإنها لقدرة أشبه بالمعجزة لدى هذا الملك الصالح رأيته عدة مرات يمارسها منذ قدومى إلى إنجلترا . فأما عن كيفية استعانته بالسماء فى هذا الصدد ، فهو أدرى بها . غير أن الثابت أنه يُشفى المصابين بهذا الداء الغريب ، قد تورّمت أجسامهم وأصابتها القروح بصورة تؤذى العين ، وتدفع الأطباء إلى اليأس من القدرة على علاجها . فهو يعلّق فى أعناق المرضى عملة عليها صورته ، ويردّد أثناء ذلك بعض الأدعية . كما يقال إنه يترك لورثته فى الملك تلك القدرة المباركة على العلاج . . ولديه بالإضافة إلى تلك القدرة الغريبة ملكة التنبؤ بما سيجئ . وهى من نعم السماء عليه وعلى عرشه المبارك .

(يدخل روس)

مكدف : أُنظر هذا القادم علينا .

مالكولم : هو من أبناء وطنى ، غير أنى لا أعرفه .

---

(١) يقصد داء الغُدَّب (scrofula) الناجم عن فساد الدم . وكان الناس فى انجلترا فى زمن شكسبير وبعده يعتقدون أن لمسة من يد ملوكهم أو ملكاتهم تُشفى من هذا المرض الذى سُمّى لهذا السبب بداء المَلِك (the King's Evil) .

مكدف : مرحبا بك هنا يا ابن العم النبيل .

مالكولم : عرفتُه الآن . وعسى الله أن يرفع عنا الهموم التى تُسدل على أعيننا حجابا فلا يتعرّف بعضُنا على بعض .

روس : آمين !

مكدف : هل الأمور فى سكوتلندا على ما هى عليه ؟

روس : وا بؤسَ بلدنا المسكين ! إنه ليكاد يخشى من مواجهة نفسه . . ليس بالوسع أن ندعوه بأمّنا ، بل هو قبرنا ، وما من إنسان فيه بمقدوره أن يبتسم إلا إن كان جاهلا بمجريات الأمور . تسمع فيه تنهدات وزفرات الألم وصرخات تدوّى فى الفضاء ، وما من أحد يلتفت إليها لكثرتها . بات الحزن الشديد أمرا مألوفا وعاديا ، فإن قرع الناقوس ليعلن عن موت إنسان لم يسأل الناس عن اسمه . وأما حياة الصالحين منا ففى طول عمر الزهور التى نقطفها ؛ يموتون من قبل أن يهرموا و يمرضوا .

مكدف : ما أبشع ما ذكرته تفصيلا وما هو صحيح بلاشك !

مالكولم : فما أحدث المآسى هناك ؟

روس : ما حدث منها منذ ساعة واحدة هو الآن قديم لا يأبه السامعون به . فكل دقيقة تحمل أخبارًا جديدة .

مكدف : كيف حال زوجتى ؟

روس : بخير .

مكدف : وأبنائى جميعا ؟

روس : هم أيضا بخير .

مكدف : لم يعكّر الطاغية من صفوهم ؟

روس : كلا . كانوا بخير حين رأيتهم آخر مرة .

مكدف : لا تبخل هكذا بالحديث . كيف الأوضاع هناك ؟

روس : حين شرعت فى الرحيل إليكم لأنقل الأخبار ثقيلة الوطأة ، سَرَت شائعة تقول إن الكثيرين من أفاضل الرجال قد تمرّدوا على مكبث ، وهو أمر أعتقد أن البعض قد شهده بعينه . ذلك أنى رأيتُ جيش الطاغية يتحرك . وقد حان أوان وصول المدد . فلو أنك قدمت إلى سكوتلندا لكانت نظرة منك إلى القوم هناك كافية لتحويلهم إلى جنود فى جيشك ، ولحث نسائنا على القتال من أجل التخلص من أسباب تعاستهن .

مالكولم : ليهدأ بالهم فإنّا سائرون إلى هناك . وقد أعارتنا إنجلترا الكريمة قائدًا بارزًا هو سيوارد ، ومعه عشرة آلاف جندى . وهو جندى لا يعرف العالم المسيحى من هو أفضل أو أكثر خبرة منه .

روس : ليت أخبارى سارة كأخبارك ! بيد أنها أخبار أجدر بى أن أصيح بها فى صحراء خاوية فلا يسمعها أحد .

مكدف : ما موضوعها ؟ أتتعلق بقضية الوطن أم بشخص واحد معين ؟

روس : ما من إنسان نظيف إلا سيشارك ذلك الشخص لوعته . ومعظم هذه الأخبار تخصّك أنت وحدك .

مكدف : إن كانت تخصنى فلا تخفيها عنى ، بل نبّئنى بها بسرعة .

روس : فلا تدع أذنيك إذن تحتقر لسانى إلى الأبد إذ ينبئهما بأثقل خبر وصل سمعهما .

مكدف : آه ! بوسعى تخمين ما ستقول .

روس : قد هوجمت قلعتك فجأة ، وقُتلت زوجتك وأطفالك فى وحشية لو وصفتُها لك لَصَرَعك الوصف وأُضِفْتَ أنت إلى عداد القتلى .

مالكولم : رحمتك اللهم ! لا تُغَطِّ وجهك بل عبّر فى حرية عن أشجانك . فالأحزان التى لا يعبر اللسان عنها تخاطب القلب الكليم فينفطر لها .

مكدف : وأطفالى أيضًا ؟

روس : الزوجة والأطفال والخدم وكل من وجدوه هناك .

مكدف : وأنا غائب عنهم . . . أَقُتِلتْ زوجتى هى أيضا ؟

روس : قلتُ لك قُتِلتْ .

مالكولم : هوّن عليك . ولنجعل من ثأرنا العظيم دواءً فيه شفاء لنا من هذا الحزن العميق .

مكدف : إنه لا أطفال له . . . كل أطفالى الأعزاء ؟ أقلتَ كلهم ؟ آه ياحِدَأة الجحيم! كلهم ؟ كل فراخى الأعزاء وأمهم خطفتها تلك الحدأة دفعةً واحدة ؟

مالكولم : ليكن تفكيرك فى الأمر تفكير الرجال .

مكدف : سأفعل . غير أن شعورى إزاءه سيكون هو أيضا كشعور الرجال . فما أملك إلا أن أتذكر كيف كانت سعادتى معهم ، ومبلغ إعزازى لهم . . هل شاهدت السماء المنظر ولم تدافع عنهم ؟ ما أبشع جرمك يامكدف ! لقد قُتلوا جميعا بسببك . فمع تفاهة شأنى لم يُقتلوا لجريرة ارتكبوها وإنما بسبب ما فعلتُه أنا . . طيّب الله مثواهم أجمعين !

مالكولم : ليشحذ هذا النبأُ سيفَك ، وليتحوّل حزنك إلى غضب . . لا تهدّئ من قلبك بل أَثِر ثائرته .

مكدف : بوسع عينى أن تبكى بكاء النساء ، وبوسع لسانى أن يرغى ويزبد . غير أنهما لن يفعلا . فلتعجّل السماء بحسم الأمر والمواجهة ، ولتأتِ بى وبهذا الشيطان الاسكوتلندى ، ولتوقفه على مقربة من طرف سيفى . فإن نجا من سيفى فسأغفر له وأدعو السماء له بالغفران !

مالكولم : كذا يكون كلام الرجال . فلنمض إلى الملك . جيشنا مستعدّ للتحرك ولا ينقصنا غير الاستئذان فى الرحيل . . قد حان أوان سقوط مكبث ، وقد اختارنا الله للأخذ بالثأر . ليهدأ خاطركم : فما من ليل مهما طال ، إلا تبعه الفجر وبزوغ النهار .

(يخـرجـون)

الفصل الخامس

الفصل الخامس

المشهد الأول

دانسينين - غرفة بالقلعة

(يدخل طبيب مع إحدى الوصيفات)

الطبيب : شاركتُك فى السهر والمراقبة ليلتين ، غير أنى لم أر ما ذَكَرْتِهِ . . متى كانت آخر مرة سارت فيها أثناء نومها ؟

الوصيفة : منذ خرجتْ جلالتها مع الجيش ، رأيتها مرارًا تنهض من فراشها ، وتلتحف بعباءتها المنزلية ، وتفتح صوانها فتخرج منه ورقة تطويها ، وتكتب فيها ، وتقرأها ثم تختمها ، ثم تعود ثانية إلى الفراش . . كل هذا وهى غارقة فى نوم عميق .

الطبيب : إنه لخلل عظيم فى الطبيعة أن يؤدى المرء إذ يخلد إلى راحة النوم ما يؤديه فى حال يقظته . . فهل سمعتها فى أى وقت من الأوقات تقول شيئًا وهى فى نومها المضطرب هذا ، خلاف سيرها وأفعالها الأخرى ؟

الوصيفة : ذاك شىء لن أبوح به ياسيدى .

الطبيب : بإمكانك أن تبوحى به لى . بل إنه من الأفضل أن تفعلى .

الوصيفة : لا لك ولا لأى إنسان ما دمت أفتقر إلى شاهد يؤمّن على ما أقول .

(تدخل ليدى مكبث وهى تحمل شمعة)

أنظر ! ها هى ذى ! وهذا بالضبط هومسلكها . . أقسم لك غارقة فى النوم . . فلنختبئ ونراقبها .

الطبيب : كيف حصلت على هذه الشمعة ؟

الوصيفة : كانت بجانب فراشها . . فهى تصر على أن يكون ثمة ضوء كانت . وهذا هو ما أمرتنا به .

الطبيب : أنظرى ! عيناها مفتوحتان .

الوصيفة : أجل ، ولكنهما لا تريان .

الطبيب : ماذا عساها تصنع الآن ؟ أنظرى كيف تفرك يديها .

الوصيفة : تلك عادتها ، أن تبدو وكأنها تغسل يديها . لقد شاهدتها تفعل لمدة ربع ساعة .

ليدى مكبث : لا تزال هنا بقعة .

الطبيب : صه ! إنها تتكلم . . سأكتب ما تنطق به حتى تستعين ذاكرتي بعد بها دوّنتُه .

ليدى مكبث : إختفى أيتها البقعة الملعونة ! أقول لك اختفى ! . . الساعة تد الواحدة . . الثانية . . قد حان الوقت إذن . . الجحيم مظلم عارٌ عليك ياسيدى . عار عليك أن تكون جنديا وتخاف . نخاف أن يُعرف سرُّنا وما من أحد يملك أن يسائلنا ؟ ولكن ، كان بوسعنا أن نخمّن أن بالرجل العجوز مثل هذا القدر الغزير الدم؟

الطبيب : أسمعتِ ما تقول ؟

ليدى مكبث : كان لسيد فايف زوجة . نعم . ليدى مكدف . أين هى الآن ؟ ما هذا ؟ ألن تزول البقع عن هاتين اليدين ؟ كفاك يامولا كفاك . . علامات خوفك تفسد علينا كل شىء .

الطبيب : وأسفاه ! قد وصل إلى سمعك ما كان ينبغى إخفاؤه عنك .

الوصيفة : بل لقد نطقتْ هى بما لم يكن ينبغى أن تنطق به . غير أنى واثقة من أن السماء وحدها تعلم ما تعلمه هى .

ليدى مكبث : لازلت أشمّ رائحة الدم . وما بمقدور كل عطور جزيرة العرب أن تعطّر هذه اليد الصغيرة . أواه ! أواه ! أواه !

الطبيب : ما أبشعه من منظر ! قلبى يتمزق ألمًا .

الوصيفة : ما أحسبنى أرضى بأن يكون لى قلب كهذا ولو صرتُ ملكة .

الطبيب : حسنا ، . . .

الوصيفة : آمل أن يكون الأمر كذلك ياسيدى .

الطبيب : لا خبرة لى بمثل هذا المرض . غير أنى عرفت أناسا كانوا يسيرون فى نومهم وماتوا فى فراشهم وهم مرتاحو الضمير .

ليدى مكبث : إغسل يديك . . إلبس عباءتك المنزلية . . لا تبدُ شاحب الوجه هكذا . أُخبرك مرة أخرى أن بانكو قد دُفن ولا يمكنه أن يخرج من قبره .

الطبيب : هكذا إذن !

ليدى مكبث : إلى الفراش . . هيا إلى الفراش . . هناك من يقرع الباب . . هيا ، هيا ، هيا ، هيا . . ناولنى يدك . . ما فات قد فات . . إلى الفراش . . إلى الفراش . . إلى الفراش . . إلى الفراش .

(تخـرج)

الطبيب : أتمضى الآن إلى فراشها ؟

الوصيفة : من فورها .

الطبيب : ثمة شائعات شريرة يتهامس بها الناس . وما الخلل غير الطبيعى إلا

نتيجة فعل غير طبيعى . . . العقول المريضة تفشى أسرارها إلى الوسائد الصماء . . إنها إلى عون القساوسة أحوج منها إلى عون الأطباء . . فليغفر الله لنا جميعا . . أحيطيها برعايتك ، وأبعدى عن متناولها كل ما يمكن أن تقتل به نفسها . وراقبيها على الدوام . . طابت ليلتك . . لقد أربكتْ عقلى وحيّرت بصرى . . الأفكار تراودنى ولا أجرؤ على التعبير عنها .

الوصيفة : طابت ليلتك ياسيدى الطبيب .

(يخرجان)

المشهـد الثانى
فى الريـف قـرب دانسينين

(يدخل مينتيث ، وكاثنيس ، وأنجوس ، ولينوكس ، وجنود يحملون طبولا ورايات)

مينتيث : الجيش الإنجليزى يقترب ، يقوده مالكولم ، وعمه سيوارد [1] ، ومكدف النبيل ، ويتحرّق شوقا إلى الثأر . فأما قضيتهم الحبيبة إلى قلوبهم فبمقدورها أن تثير حماس الموتى للاشتراك فى الحرب الدامية المريرة .

أنجوس : سنقابلهم قرب غابة بيرنام ، فهو قادمون عن طريقها .

كاثنيس : هل يعلم أحدكم ما إذا كان دونالبين يرافق أخاه ؟

لينوكس : لا ياسيدى بكل تأكيد . فعندى قائمة بأسماء كافة الأشراف فى الجيش . هناك ابن سيوارد والكثيرون من الشباب الأحداث الذين يعلنون عن رجولتهم لأول مرة .

مينتيث : ما يصنع الطاغية الآن ؟

كاثنيس : مشغول بتحصين دانسينين . . البعض يقول إنه قد جُنّ ، والبعض ممن يكرهه بدرجة أقل يقول بل قد أصابته بسالة الغضب . غير أن المؤكد أن زمام الموقف قد أفلت من يده .

---

(١) كان سيوارد جدّ مالكولم لا عمّه .

أنجوس : إنه يدرك الآن أن يديه قد لصق بهما ما أراقه فى السرّ من دماء . ففى كل دقيقة تقريبًا ينشب تمرّدٌ يُدين خيانته . أما أفراد جيشه فتحرّكهم أوامره لا حبّهم إياه . . إنه يشعر الآن بأن المنصب أكبر من أن يناسبه ، وأنه أشبه بثوب عملاق يلبسه لص قزم .

مينتيث : فكيف يمكن إذن أن نلوم حواسه المضطربة على عنف ردود فعلها وهى التى قد تمرّدت فى جوفه تريد مفارقته .

كاثنيس : فلنسر إذن حتى نقدّم فروض الولاء لمن هو أهل له ، وحتى نقابل الطبيب المداوى لجراح وطننا ، ونسهم معه بكل قطرة من دمائنا فى فصد العناصر الفاسدة .

لينوكس : وفى ريّ زهرة المُلك الشرعى وإغراق الحشائش الضارة . . لنتقدم إذن صوب بيرنام .

(يخرجون فى مسيرة عسكرية)

الفصل الخامس

المشهد الثالث

قلعة مكبث فى دانسينين

(يدخل مكبث والطبيب وعدد من التابعين)

مكبث : لا تنقلوا إلىّ تقارير أخرى . . فليتخلّ عنى الجنود كافة . فلن يكون للخوف سبيل إلى قلبى حتى تنتقل غابة بيرنام إلى دانسينين . . ثم من هذا الصبى مالكولم ؟ ألم تلده امرأة ؟ لقد قالت لى الأرواح التى تعلم مصائر كافة البشر : « لا تخف يامكبث ، فما من رجل ولدته امرأة بوسعه أن يتغلّب عليك » . فليهرب إذن من جيشى قادته الخونة ، ولينضموا إلى الإنجليز اللاهين . فأما العقل الذى يسيّرنى والقلب الذى أحمله فلن يعرفا الشك أو يدركهما خوف .

(يدخل خادم)

سوّد الله وجهك أيها الأبله شاحب الوجه ! ما الذى يرعبك على هذا النحو؟

الخادم : ثمة عشرة آلاف ــــــــ

مكبث : من الأوزّ أيها الوغد ؟

الخادم : من الجنود ياسيدى .

مكبث : إمض أيها الصبى الجبان فاستعِدْ لونك الشاحب وتخلّص من رعشتك . .

أى جنود أيها الأحمق ؟ شحوب وجهك - لعنة الله عليك - كفيل بأن يثير الخوف فى قلوب الآخرين . . أى جنود أيها الرعديد ؟

الخادم : الجيش الإنجليزى يامولاى .

مكبث : أغرب عن وجهى ! (يخرج الخادم) سيتُون ! إنه لما يُثقل قلبى أن أرى . . . . (ينادى مرة أخرى) سيتون ! أين أنت ؟ هذا الوضع الحرج إما أن يسفر عن سعادتى إلى آخر العمر أو عن الإطاحة بمُلكى على الفور . لقد عشت ما فيه الكفاية ، حتى جفّت واصفرّت أوراق عمرى وأوشكت على السقوط . فأما ما ينبغى أن يصاحب شيخوخة المرء من الشرف والمحبة والطاعة وزمرة الأصدقاء ، فلا أمل لى فيها . وما البديل لها عندى غير اللّعنات القوية المكتومة ، والتكريم اللسانى الزائف ، وكلمات لا تخرج من القلب ، ويكاد القلب لولا خوفه أن ينكرها . (ينادى) سيتون !

(يدخل سيتون)

سيتون : أمرك يامولاى .

مكبث : هل من أخبار أخرى ؟

سيتون : كل ما وصلنا من تقارير يامولاى قد تأكد صدقُها .

مكبث : سأقاتل . سأقاتل حتى يفرّقوا بأسيافهم بين لحمى وعظامى . . ناولنى درعى .

سيتون : ما من حاجة بعد إليها .

مكبث : سألبسها . . أرسل المزيد من الفرسان لاستطلاع المنطقة ، واشنقوا كل من تسمعونه يعبر عن خوفه . . ناولنى درعى . . (للطبيب) ما أخبار المريضة أيها الطبيب ؟

الطبيب : ليست مريضة يامولاى بقدر ما هى تعانى من أوهام عديدة تحول بينها وبين الراحة .

مكبث : عالجها من أوهامها . . أليس بوسعك علاج عقلٍ مريض ؛ أن تنزع من الذاكرة جذور حزن عميق ، وأن تمحو من العقل ما كُتب فيه من متاعب، وأن تستخدم ترياقا عطوفا يجلب السلوان ويطهّر القلب المثقل مما يخامره من هموم سامة ؟

الطبيب : المريض أقدر فى مثل هذه الحالات على علاج نفسه .

مكبث : فلتلقوا بالطب إذن إلى الكلاب ، فهو لا جدوى منه . . . (لسيتون) هيا ألبسنى درعى ، وأعطنى عصاى . . سيتون ، أريدك أن ترسل . . . . (للطبيب) الأشراف يهجروننى أيها الطبيب . . (لسيتون) أسرع ياسيدى، أرجوك . (للطبيب) إن استطعت أيها الطبيب أن تحلل بَوْل هذه المملكة لتعرف داءها ، وأن تداويها فتعيد إليها سالف صحتها وعافيتها ، لصفّقت لك تصفيقا يردّده الصّدى فيعيده إلىّ . (لسيتون) لا أريد الدرع فاخلعه عنى . (للطبيب) أما فى وسع أعشاب الرَّاوَنْد ، أو الأوراق الجافة لنبات السَّنا ، أو أى مطهّر آخر ، أن يطرد هؤلاء الإنجليز من بلدنا ؟ ألم تصل إلى مسامعك أنباء مقدمهم ؟

الطبيب : أجل يامولاى . فاستعداداتك العسكرية أنبأتنا بذلك .

مكبث : (لسيتون) أحضر الدرع إلى حيث سأكون . . . ولن أخاف من الموت أو الآلام ، حتى تنتقل إلى دانسيدين غابةُ بيرنام .

(يخـرج)

الطبيب : آه لو أمكننى الفرار من هذا المكان ! إذن لما أغرانى بالعودة أىّ قدر من المال .

(يخـرجون)

المشهد الرابع
فى الريف قرب دانسينين ، وعلى البعد غابة بيرنام

(يدخل مالكولم ، وسيوارد الأب وابنه ، ومكدف ، ومينتيث ، وكاثنيس ، وأنجوس ، ولينوكس ، وروس ، وجنود فى مسيرة عسكرية يحملون الطبول والرايات)

مالكولم : آمل يا أبناء العم أن يتمكن الناس عما قريب من النوم فى غرفهم آمنين .

مينتيث : لا يراودنا شك فى ذلك .

سيوارد : ما هذه الغابة أمامنا ؟

مينتيث : غابة بيرنام .

مالكولم : فلينزع كل جندى لنفسه غصنا من الشجر يحمله أمامه ، حتى نخفى عن العدو عدد أفراد جيشنا ، ونضلّل محاولات الكشف عنه .

الجنود : سمعا وطاعة .

سيوارد : لا نعرف غير أن الطاغية الواثق من نفسه لا يزال طيلة الوقت فى دانسينين فى انتظار حصارنا لها .

مالكولم : جُلّ آماله مقرون بها . إذ أنه حتى لو أتيحت له فرصة الإنصراف عنها

فسيجد كبار القوم وصغارهم قد تمرّدوا عليه ، حتى لم يبق فى جيشه غير المضطرين إلى البقاء ، وهؤلاء أيضا قد انصرفت عنه قلوبهم .

مكدف : فلنؤجل إصدار الأحكام حتى نشهد بأنفسنا مجريات الأمور ، وما علينا الآن إلا أن نؤدى فى كفاءة واجبنا العسكرى .

سيوارد : وقريبًا ـ بعد أن يكون القدر قد حدّد مصير المعركة ـ سيكون فى وسعنا أن نميّز بين توقعاتنا وبين ما أنجزناه بالفعل . . فما بمقدور الكلام إلا أن يثير آمالا هَشَّة . أما القتال فهو السبيل الوحيد إلى حسم الموقف حسما لا يدع مجالا للشك . فلتأتِ الحرب إذن بها تأتى به .

(يخرجون فى مسيرة عسكرية)

الفصل الخامس

المشهد الخامس
قلعة مكبث فى دانسينين

(يدخل مكبث وسيتون وجنود يحملون طبولا ورايات)

مكبث : علّقوا الأعلام على الأسوار الخارجية . ولتكن الصيحة دائمًا « إنهم قادمون» . . إن مناعة قلعتنا كفيلة بأن تهزأ بحصارهم . فليبقوا إذن خارجها حتى تفنيهم المجاعة والمرض . ولولا أنه قد انضمّت إليهم قوات من قواتنا ، لخرجنا فى جرأة لملاقاتهم وجها لوجه ، واضطررناهم إلى التقهقر إلى ديارهم .

(صرخات من النساء بالداخل)

ما هذا الصوت ؟

سيتون : صرخات نساء يامولاى . (يخرج)

مكبث : إنى لأكاد أن أكون نسيت طعم الخوف . . وقد كنت فيما مضى إن سمعتُ صرخةً بالليل تجمّدت أطرافى ، وإن طرق مسامعى خبر رهيب وقف له شعر رأسى دون إرادة منى . أما الآن فقد امتلأت جعبتى بفرط الأهوال ، واعتادت عليها أفكارى الدموية حتى ما عاد بمقدور أىٍّ من الأهوال أن يهزّنى .

(يدخل سيتون)

ما سبب تلك الصيحة ؟

سيتون : مولاى ، لقد ماتت الملكة .

مكبث : ما كان ينبغى لها أن تموت الآن . فثمة وقتٌ أنسبُ سيحين لمثل هذا النبأ . . يوم غد ، فيوم غد ، فيوم غد . . كذا يزحف الزمن بحركته البطيئة من يوم إلى آخر ، وحتى آخر كلمة فى سجلّ الدهر . فما أيامنا السالفة إلا شموع أضاءت الطريق للحمقى إلى الموت وإلى تراب القبر . . فلينطفئ إذن ضوء هذه الشمعة الضئيلة ! ما الحياة إلا شبح يمرّ ، أو هى كممثل ردئ يخطر ساعة أو بعض ساعة على خشبة المسرح مزهوا بنفسه ، يرغى ويزبد، ثم يختفى إلى الأبد . . ما هى إلاّ قصة يرويها أبله ، مِلْئُها الجعجعة والجلبة ، دون معنى أو مغزى .

(يدخل رسول)

أتيتَ لتحرّك لسانك . قل أخبارك بسرعة .

الرسول : مولاى ! أتيت لأذكر مشهدًا رأيته بعينى ، غير أنى لا أدرى كيف أبدأ .

مكبث : قل ياسيدى .

الرسول : كنت واقفا على التل أقوم بمهمة الحراسة ، حين حانت منى التفاتة إلى غابة بيرنام ، فإذا بى وقد خُيّل إلىّ أن الغابة بدأت تتحرك . .

مكبث : تكذب أيها العبد !

الرسول : لتُنزل بى نقمتك إن كنتُ أكذب . وبوسع مولاى أن يراها من على بعد ثلاثة أميال وهى تتقدم نحونا . . غابة تتحرك .

مكبث : لو ثبت كذبك فستُعلّق حيًّا على أقرب شجرة ، حتى يهلكك الجوع . أما إن كنت صادقًا فلا أبالى لو أنك فعلت بى هذه الفعلة . . . أرى عزمى قد وهن ، وأرانى وقد بدأت أشك فى مراوغة الشيطان وحديثه الغامض ، وأكاذيبه التى تبدو فى زىّ الحقيقة : « لا تخش شيئًا حتى تنتقل غابة بيرنام

إلى دانسينين » . وها هي تنتقل إلى دانسينين . . لنحمل أسلحتنا ونخرج إليهم . فإن كان ما يقوله الرجل حقا فلا الفرار بالمجدى ولا البقاء بالمجدى . . قد بدأت أملّ الحياة وأتطلع إلى نهاية العالم . . دقّوا نواقيس الخطر . . . فلتهبّ الريح وليأت الدمار إلينا . وكفانا أن نموت ودروعنا علينا .

(يخرجـون)

الفصل الخامس

المشهد السادس

نفس المكان ـ سهل قبالة القلعة

(يدخل مالكولم ، وسيوارد الأب ، ومكدف ، وآخرون ، وجنود جيشهم يحملون الطبول والرايات وأغصان الشجر)

مالكولم : لن نقترب أكثر من هذا . . فلتُلْقوا عنكم هذا الستار المُورِق ولتكشفوا عن أنفسكم . (لسيوارد الأب) فلتتقدم ياعمّاه مع ابنك النبيل لتقودا جيشنا الأول . أما عنى ومكدف فسنكون مسئولَيْن عما تبقّى من خطّتنا . .

سيوارد : إلى الملتقى إذن . فإن نحن التقينا الليلة بجيش الطاغية ، فلتلحق بنا الهزيمة إن لم نظهر فى القتال بسالتنا .

مكدف : ولنسمع صوت أبواقنا كافة يتردد فى الأرجاء . . فانفُخوا فيها من أنفاسكم لتحمل نُذُر الموت وإراقة الدماء .

(يخرجون بينما يستمر صوت الأبواق)

المشهد السابع

نفس المكان ، فى موقع آخر من السهل

(يدخل مكبث)

مكبث : قد شدّونى إلى وتد لا أستطيع الفرار منه ، وعلىّ أن أقاتلهم قتال الدبّ المقيّد لكلاب تهاجمه . . أى رجل من الرجال لم تلده امرأة ؟ مثله مَن أخشى ولا أخشى رجلا عداه .

(يدخل سيوارد الإبن)

سيوارد الإبن : ما اسمك ياهذا ؟

مكبث : سيزعجك أن تسمعه .

سيوارد الإبن : لا والله ولو أسميت نفسك باسم أبشع أهل الجحيم .

مكبث : اسمى مكبث .

سيوارد الإبن : ما بوسع الشيطان أن يذكر اسما هو أبغض إلى مسامعى منه .

مكبث : لا ، ولا أكثر إرعابا لك .

سيوارد الإبن : كذبت أيها الطاغية المقيت . وسأبرهن بسيفى على كذبك .

(يتبارزان فيُقتل سيوارد الإبن فى المبارزة)

مكبث : لاشك أن امرأة ولدتك . . إنى أبتسم للسيوف وأسخر من الأسلحة التى يحملها رجل قد ولدته امرأة .

(يخرج)

(صوت أبواق ـ يدخل مكدف)

مكدف : هنا مصدر الضجة (ينادى مكبث) أرنى وجهك أيها الطاغية ! لو أن رجلا آخر غيرى قتلك ، فستظل أشباح زوجتى وأطفالى تطاردنى إلى الأبد . . لا أريد منازلة جنود مرتزقة تُستأجر أيديهم لحمل السلاح . فإما أنت يا مكبث ، أو أردّ سيفى إلى غمده نظيفًا لم أستخدمه . . لابدّ أنك هناك حيث تصدر تلك الجلبة الشديدة التى توحى بوجود شخصية هامة بين القوم . (جانبا) فليُقدْنى الحظ إلى مكانه ولن أطلب منه شيئًا آخر .

(يخرج ـ صوت أبواق)

(يدخل مالكولم وسيوارد الأب)

سيوارد : من هنا يامولاى . . لقد استسلمت القلعة دون قتال . وها هو شعب الطاغية يقاتل فى الجانبين ، والأشراف يحاربون فى بسالة . . قد أشرف اليوم على أن يكون يومك ، ولم يعد أمامنا الكثير مما يمكننا صنعه .

مالكولم : لقد صادفنا من الأعداء من كان يتعمّد ألا تصيبنا ضرباته .

سيوارد : فليتفضّل مولاى بدخول القلعة .

(يخرجان ـ صوت أبواق)

المشهد الثامن

مكان آخر فى ساحة القتال

(يدخل مكبث)

مكبث : ما الضرورة إلى أن أنهج نهج بعض الرومان الأغبياء فألقى بنفسى على سيفى طلبا للموت ؟ فما دمت أرى بين العدو أحياءً فإن الجراح أليق بهم منها بى .

(يدخل مكدف)

مكدف : أَدِر وجهك إلىّ يا كلب الجحيم .

مكبث : لقد كنت أتجنّبك أنت بالذات . . انصرِفْ عنى فإن روحى مُثقلة أكثر مما ينبغى بما ارتكبتُه فى حق ذويك .

مكدف : ما فى جعبتى من كلمات أوجّهها لك . فصوتى فى سيفى أيها الوحش الدموى الذى تعجز الكلمات عن وصفه .

(يتبارزان)

مكبث : ما أرى جهدك إلا سيضيع هباء . فإنه لأسهل على سيفك الصقيل أن يُدمى الهواء من أن يُدمينى . وَجِّه ضربات سيفك إلى هامات يمكنه أن يؤذيها . أما عنى فإن حياتى تحميها تعويذة سحرية ، ولا يمكن أن ينال منها رجل ولدته امرأة .

مكدف : لا تثق فى تعويذتك . ودع الروح التى كنت دائما تخدمها تخبرك أن مكدف قد انتُزِع من رَحم أمه قبل أن يحين وقت ولادته .

مكبث : ملعون ذلك اللسان الذى ينطق بهذا القول فيسلبنى به شجاعة الرجال . . وما ينبغى لأحد بعد الآن أن يصدّق تلك الشياطين المتلاعبة بألفاظ مزدوجة المعنى ، فيصْدُقُ ظاهرُ وعدها ويكذب باطنهُ فيحطّم أمانينا . . لن أقاتلك . .

مكدف : فاستسلم إذن أيها الجبان ، وعش حتى يتفرّج عليك أهل هذا الزمان . سنرفع صورتك على أعمدة ، كما يرفع الناس صور الوحوش النادرة ، ونكتب تحتها : « هنا تشاهدون الطاغية » .

مكبث : لن أستسلم فأضطر إلى تقبيل الأرض أمام قدمى مالكولم الشاب ، وأُصبح هدفا للعنات الغوغاء . . فرغم أن غابة بيرنام قد انتقلت إلى دانسينين ، ورغم أن عدوى لم تلده امرأة ، فسألجأ إلى السهم الأخير فى جعبتى : سأجعل الدرع الثقيلة أمامى وأقاتل .

فهيا إذن إلى النزال يامكدف ، واللعنة على أول من يصيح منا متوسلا : «كفانا قتالا ولنتوقف ! »

(يخرجان وهما يقتتلان ـ صوت أبواق ـ يعودان إلى الدخول والمبارزة مستمرة، ثم يُقتل مكبث)

المشهد التاسع
داخل القلعة

(أبواق تعلن انتهاء المعركة . . يدخل مالكولم ، وسيوارد الأب ، وروس ، وبعض الأشراف ، وجنود يحملون طبولا ورايات)

مالكولم : عسى أن يكون أصدقاؤنا الذين نفتقدهم فى عداد الأحياء .

سيوارد : لا مفرّ من موت البعض . ومع ذلك فإن حكمتُ بما أراه من وجوه حولى فلاشك فى أننا لم ندفع غير ثمن زهيد ، مقابل انتصارنا فى هذا اليوم المجيد .

مالكولم : لم نعثر على مكدف ، ولا على ابنك النبيل .

روس : لقد مات ابنك ياسيدى ميتة الجندى الباسل . . لم يكد يبلغ سن الرجال ويبرهن على ما عنده من شجاعةالرجال بصموده فى الحرب حتى لقى حتفه شأن أشجع رجل .

سيوارد : أمات إذن ؟

روس : أجل ، وجىء بجثته من الميدان . لا ينبغى لحزنك عليه أن يكون بقدر عظمته ، وإلا لما عرفت لحزنك نهاية .

سيوارد : أكانت جروحه فى صدره ؟

روس : نعم ، فى صدره .

سيوارد : فهو إذن جندى باسل . ولو كان عندى من الأبناء بعدد ما فى رأسى من شعرات لما تمنيت لهم أجمل من هذه الميتة . . هكذا انتهى أجله إذن .

مالكولم : إنه ليستحق منا حزنا أكبر عليه . وسأوفيه حقه منه .

سيوارد : ما هو بأهل لأكثر من حزنك عليه . . يقولون إن ميتته كانت ميتة كريمة وأنه أوفى بدينه . فليكن الله إذن معه ! . . . وها هى بُشْرى جديدة .

(يدخل مكدف حاملا رأس مكبث)

مكدف : تحيةً لمولانا الملك ! فقد صرت مَلِكَنا حقا . وانظر إلى رأس مغتصب العرش اللعين . لقد تحرر أبناء جيلنا ، وأراك محاطا بأكرم وجوه مملكتك ممن يدور فى خاطرهم ما أنبريتُ للتعبير عنه . أريد أصواتهم أن ترتفع مدوية مع صوتى فنصيح : عاش ملك اسكوتلندا !

الجميع : عاش ملك اسكوتلندا !

(صوت أبواق)

مالكولم : لن يمر وقت طويل قبل أن نسوّى حساباتنا معكم ونكافئكم على محبتكم جميعا لنا . . أيها السادة والأقرباء ، لقد أنعمت على كل منكم بلقب «لورد » ، وهى المرة الأولى التى تعرف اسكوتلندا فيها هذا اللقب . أما غير ذلك مما ننتويه ، وما تتطلبه الأحوال الجديدة هنا ، فيتضمن استدعاء أصدقائنا المنفيين فى الخارج ممن فرّوا من براثن طاغية يتربص بهم ، ومحاكمة الوحوش من مساعدى ذلك الجزّار القتيل وزوجته الأشبه بالشياطين ، تلك التى يقال إنها قتلت نفسها بيدها الآثمة . . . كل هذا وغيره مما ينبغى علينا صنعه ، وتتطلبه منا عناية السماء ، سننهض به بالقدر المناسب فى الوقت المناسب والمكان المناسب . . فشكرا لكم أجمعين ، وشكرا لكم فردا فردا ، مع دعوتنا لكم للتوجه إلى مدينة سْكُون لمشاهدة حفل تتويجنا .

(صوت أبواق ـ يخرجون)